التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب وسبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية

إعداد الدكتورة

سالي مصباح عبد الحافظ سلامة عويضة

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالقرين، جامعة الأزهر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/١٧١٩٨م

الترقيم الدولي لكتاب البحث: ٦-٣٤٢٠-٩٥-٩٧٧-٩٧٨

التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب وسبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية

سالي مصباح عبد الحافظ سلامة عويضة

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين،جامعة الأزهر، مصر .

البريد الإلكتروني: sallymosbah22@azhar.edu.eg

الملخص:

الإيمان بالغيب ركيزة أساسية من ركائز الإيمان في العقيدة الإسلامية، وأحد أبرز المفاهيم التي تُسهم في تشكيل وعي الإنسان، وعلاقته بربه، وفهمه لذاته، وإدراكه للكون من حوله، غير أنَّ هذا الإيمان في ظل التحديات الفكرية، والتطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة تعرَّض لحملات تشكيك منظمة، تقودها تيارات مادية إلحادية، وعقلانية متطرفة تنكر كلَّ ما وراء الحس، وتسعى لحصر المعرفة في نطاق ما تدركه التجربة، متجاهلة بذلك قصور العقل البشري، وحدود إمكاناته، ومع تطور التكنولوجيا الحديثة، ووسائل التواصل الاجتماعي، تحّولت هذه الأفكار إلى أدوات مؤثرة في وعي الشباب، بعد أن فشلت تلك التيارات في القضاء على الإيمان بالغيب بالغزو العسكري، فكان البديل الغزو الفكري القائم على التشكيك في الغيبيات، مستهدفين بذلك إضعاف العقيدة، تمهيدا لانتشار الفكر المادي، مما يترتَّب عليه ضعف الجانب الأخلاقي، وغياب الشعور بالمسؤولية، ويسعى هذا البحث إلى بيان أهمية الإيمان بالغيب، ودوره في بناء الشخصية المتّزنة، وتوعية الشباب المسلم بمخاطر تلك التحديات، من خلال كشفها، ومناقشتها،؛ لبيان قصورها العلمي والفلسفي، ثم تقديم سبل المواجهة للتصدِّي لها في ضوء منهج العقيدة الإسلامية، وذلك بالجمع بين العقل، والنقل، واستحضار جهود علماء العقيدة في تقرير مسائل الغيب، وقد

اعتمد البحث على مناهجَ تحليلية، واستقرائية، ونقدية، كشفت تهافت حجج المنكرين، وضعف شبهاتهم، وتناقض أقوالهم، حيث إنها لا تستند إلى برهان عقلي، أو دليل معتبر، بل تقوم على أقيسة باطلة، ومغالطات منطقية، تتجاهل ما أثبته العقل من حقائقَ، وتتغافل أن للعقل حدودًا يقف عندها، كما أظهر البحث جهود علماء الإسلام في الرد على هذه الشبهات، وخلص إلى جملة من النتائج منها: أنَّ العقل الصحيح لا يناقض النقل الصريح، وأنَّ التقدم العلمي لا يلغي الإيمان بالغيب، ولا يتناقض معه، بل يؤكد الحاجة إليه، إذ يُعَدُّ امتدادًا لمجالات تتجاوز نطاق المشاهدة الحسية المباشرة، ومن ثم فإن نفي الغيب بدعوى العقلانية موقف غير عقلاني، بل يعد قصورا يضيق آفاق الفهم، ويحبس الإنسان في حدود العالم المشهود؛ لذا يجب أن يوجد خطاب ديني معاصر يخاطب العقول، والقلوب، ويجيب عن الشبهات المطروحة بأسلوب علمي، ومنطقي، بعيدا عن التلقين الأعمى؛ لبناء جيل واعٍ ومتوازن، يُدرك قيمة العلم ويُؤمن في الوقت ذاته بما وراء الطبيعة، ويوقن أنَّ هناك حقائقَ لا تُدرك إلا بالوحي.

الكلمات المفتاحية: التحديات، الإيمان، الغيب، العقيدة الإسلامية.

Contemporary Challenges to Belief in the Unseen and Ways to Confront Them in Light of Islamic Creed

Sally Misbah Abd al-Hafiz Salama Oweida
Department of Creed and Philosophy ،Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls ،Al-Qurain ،Egypt
Email: sallyhafsa@gmail.com
University Email: sallymosbah22@azhar.edu.eg

Abstract:
Belief in the unseen is a foundational pillar of faith in Islamic creed ،and one of the key concepts that shapes an individual's awareness ،their relationship with their Lord ،and their understanding of themselves and the world around them. However ،this belief has faced significant challenges due to contemporary intellectual and technological advancements ،leading to organized campaigns of skepticism. These challenges are primarily driven by materialistic ،atheistic ideologies ،and extreme rationalism ،which deny anything beyond sensory perception and seek to confine knowledge to what can be directly observed ،disregarding the limitations of human intellect.
With the rise of modern technology and social media platforms ،these ideas have become influential in shaping the mindset of youth. After failing to eradicate belief in the unseen through military conquest ،these ideologies have turned to intellectual invasion—using skepticism as their tool to weaken religious faith and prepare the ground for the spread of materialism. This ،in turn ،leads to the deterioration of moral values and a loss of a sense of personal responsibility.
This research aims to highlight the importance of belief in the unseen and its role in nurturing a well-rounded and balanced personality. It also seeks to raise awareness among Muslim youth regarding the risks posed by these challenges by exposing their philosophical and scientific shortcomings. The study provides practical solutions for confronting these challenges based on the Islamic creed ،emphasizing the integration of both reason and revelation. Additionally ،the research draws upon the efforts of Islamic scholars to address the matters of the unseen ،revealing the fallacies in the arguments of the skeptics and highlighting their contradictions.
The research uses an analytical ،inductive ،and critical approach to demonstrate the fragility of the arguments against belief in the unseen ، showing that these doubts lack sound reasoning and are based on flawed analogies and logical fallacies. These arguments ignore what has been substantiated by reason and fail to acknowledge that human intellect is

inherently limited. Furthermore ،the research underscores the contributions of Islamic scholars in defending belief in the unseen ،providing a comprehensive response to these doubts.
The study concludes with several key findings ،including that sound reasoning is always in harmony with clear revelation ،and that scientific progress does not undermine belief in the unseen ،but rather affirms its necessity. Belief in the unseen transcends the limits of empirical observation and represents a vital aspect of understanding reality. Therefore ،rejecting the unseen under the guise of rationalism is an irrational position that limits the scope of human understanding and confines us to the observable world. The study calls for a contemporary religious discourse that addresses both minds and hearts ،responding to doubts with scientific rigor and logical clarity. This will foster the development of a well-informed ،balanced generation—one that appreciates the value of scientific knowledge while embracing belief in the unseen ،recognizing that some truths can only be grasped through divine revelation.

Keywords: Challenges ،Belief ،Unseen ،Islamic Creed

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي جعل الإيمان بالغيب ميزانَ العقول الســوية، ومحكّ الفطرة النقية، وامتحانًا لصــدق العبودية؛ فهو جوهر العقيدة، وركنُها الركين، وميزان التفاضــل بين العباد وسائر الكائنات؛ إذ لا يستوي من آمن بالغيب، وسار ببصيرته إلى آفاق المعقول، فاستضاء قلبه بنور الوحي، لا تزلزله رياح الفتن، ولا تعصـف به موجات الشـبهات، ولا تغرقه تيارات الهوى والشهوات، مع من قصر نظره على حدود المحسوس، وجعله وحده معيارا للمعرفة، فأنكر الغيب، وتحجّر فكرُه بين أســوار المادة، وعميت بصــيرته، فلم ير إلا ما تدركه عيناه، ولم يفقه سـر الوجود والغاية من الحياة، ولا العدل الذي يسـري في الكون بأمر الله، فسـبحان من أحاط بكلِّ شـيء علمًا، فاقتضـت حكمته دارًا أخرى، يُحصـى فيها كل شـيء عددا، فلم يخلق شـيئا عبثا، وتلك قيمة الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِـبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، وهو ســبحانه قد حجب الغيب عن عباده؛ لحكمة سامية، وسنة ماضية، اقتضتها سنن الاختبار، وحفظ بها للإنسان حرية الاختيار، فيسير على درب الطاعة دون اســتكبار، ويقف عند حدوده دون إنكار، فلا يأس يقطع القلوب بمعرفة المصـير، ولا غرور يطغى عليه بادّعاء الإحاطة بالمقادير، بل يسـير متوازنا بين نور الوحي، وهداية العقل الســليم، كما قال تعالى، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُــولٍ فَإِنَّهُ يَسْــلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَــدًا﴾[2]، جلَّ عن الشَّــبيه

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٢) سورة الجن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

والنظير، وتعالى عن الحدِّ والتصوير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، عالم الغيب والشهادة، جعل الإيمان بالغيب أساس الدين، وميدان التسليم، ومفتاح الهداية، وسر اليقين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المؤيَّد بالوحي المبين، والمبعوث رحمة للعالمين، الذي نطق بالحق فنفى عن نفسه علم الغيب المطلق، فقال: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، صلَّى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد،،،

فإنّ من أعظم ما ابتُليت به المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، انحراف مسارها عن طريق الإيمان الذي أودعه الله تعالى في فطرة الإنسان، وانبهارها ببريق حضارة مادية جوفاء، اتخذت الحس مقياسًا، والتجربة مرجعًا، والعقلَ وحده حَكمًا فيما يُرى ويُدرك، غافلة عن أنَّ وراء الحس حقائقَ لا يدركها النظرُ المجرد، ولا تصل إليها أدوات العلم التجريبي، بل تحتاج إلى بصيرة نافذة، وعقلٍ مؤيدٍ بنور الوحي، وقد ترتب على هذا الانبهار انحرافات فكرية وأخلاقية، تمثلت في الفصل بين العلم والإيمان، والعقل، والنقل، والمادة والروح، وإنكار ما وراء الحس من غيبيات، وبالنظر في واقع المسلمين اليوم نرى حجم التحدّيات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية، فلقد تكالبت عليها تحديات من دعاة التغريب، والعلمانية، والحداثة، والعقلانية المتطرفة، وغيرها، ومن قوى خارجية أرادت

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

إسلاما مشوّهًا يتماشى مع مقاييس الغرب، وإلا رمي بالإرهاب والتطرف.

وقد جاءت التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب في أثواب العقلانية الموهومة، مرتكزة على فلسفات مادية تعالت على الوحي، وادّعت الاكتفاء بالعلم، وأعلت من شأن الحسِّ والتجربة، فأنكرت ما وراء ذلك من غيبيات، وشكّكت في حقائق الوحي، التي تمثّل جوهر العقيدة الإسلامية وروحها، وهكذا اختل الميزان حتى صار ما لا يُرى غير موجود، وما لا يُقاس غير معقول.

غير أن الفكر الإسلاميّ، حين يواجه هذه التحدّيات، لا يقف منها موقف الذهول أو الانهزام، بل يستند إلى الوحي الإلهي؛ ليُقيمَ الحجَّةَ، ويؤكد أن الإيمان بالغيب ليس إيمانًا أعمى، بل تصديقا مستنيرا، مؤسسا على أدلة عقلية، ونقلية محكمة تهدي العقل، وتحميه من الزلل، وتزكي النفس، وتدفع عنها آفات الشك والضلال، وإن من مقتضى العقل الصادق أن يعترف بعجزه عن الإحاطة بكل شيء، وأن يُنيب إلى مَنْ خلقه، وركب فيه قوى الفهم والإدراك، وأمره بالسير في الأرض، والنَّظر والتَّفكُّر في آيات الكون؛ ليبلُغ بذلك مرتبة اليقين. **ومن هنا** يسلط هذا البحث الضوء على أهم التحديات الفكرية المعاصرة التي تواجه الإيمان بالغيب، من خلال تحليل أساليبها، ورصد مظاهرها، وبيان سُبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية، بمنهج علمي يجمع بين الأدلة العقلية والنقلية؛ ليُبرهن أنَّ الإيمان بالغيب لا يعارض العقل، بل هو امتداد له في إدراك ما يعجز الحس عن بلوغه، كما يؤكد أن الإيمان بالغيب ليس مجرد تصديق باطني عابر، بل هو منهج حياة متكامل، يؤثر في الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، ويتجلَّى أثره في الاستقامة، والثَّبات، والطُّمأنينة التي تضبط حياة الإنسان، ممَّا يجعل التشكيك فيه أو إنكاره أحد أخطر معاول الهدم للعقيدة الإسلامية، وهويّتها الراسخة.

ومن البين أنَّ هذا البحث استغرق عدة خطوات علمية منهجية، أشير إليها فيما يأتي:

أولاً: أهمية الموضوع

١- الإيمان بالغيب جوهر العقيدة الإسلامية، والأساس الذي تُبنَى عليه؛ إذ يقوم على التصديق الجازم بما أخبر به الوحي من حقائقَ تتجاوز حدود الإدراك الحسي والمشاهدة.

٢- الوقوف على جدلية العلاقة بين العقل، والنقل في إدراك الغيب، مؤكدا أن الإيمان بالغيب لا يتجاوز العقل، بل هو امتدادٌ له في مجالات يعجز عن بلوغها بمفرده، فالعقل السليم لا يتعارض مع الوحي الصادق، بل يُعضِّده، ويشهد له، ويتكامل معه في فهم الحقائق الغيبية.

٣- نقد وتحليل الرؤيا المادية الحديثة التي تنكر الإيمان بالغيب، وهو ما يستلزم جهودا متواصلة، ومواجهة علمية لإبراز مكانة الغيب، وأثره في تحقيق التوازن الروحي والفكري، وكشف قصور المنهج المادي الذي يعجز عن تحقيقه.

٤- رصد تباين مواقف الفلاسفة تجاه الغيب، بين إنكار مطلق قائم على النزعة الحسية التجريبية، وإيمانٍ قائمٍ على أدلة عقلية ومنطقية مستمدة من النصوص الشرعية.

٥- تحصين العقل المسلم ضد حملات التشكيك في الغيب، التي تستهدف العقيدة بالتّشكيك، وتزرع الاضطراب في النفوس، فهي لم تعد مجرد نظريات فلسفية، بل أصبحت استراتيجية فكرية تستخدم الإعلام، والتُّكنولوجيا، ووسائل التَّواصُل المختلفة في زعزعة العقيدة، لذا يجب كشفها والحذر منها، وعدم الانسياق وراءها دون علم، ووضع منهجية رصينة في التعامل معها تجمع بين النقد العقليّ، والتَّأصيل الشرعي، وهذا لمن يمتلك القدرة على المواجهة بالحجة والبرهان.

٦- كشف محاولات التغريب التي تهدف إلى إعادة صياغة المفاهيم الدينية وفق رؤى

علمانية مادية، تتصادم مع الإيمان بالغيب.

٧- التأكيد على أنَّ الإسلام ليس نتاجا بشريا ولا ظاهرة اجتماعية، بل وحيا إلهيا شاملا، والدعوة إلى الفصل بين الاستفادة من التقدم العلمي، وتبني قيم، ورؤى فكرية مناقضة للعقيدة الإسلامية.

٨- بيان تفرد الإسلام في تحقيق التكامل بين العلم والدين، والعقل، والنقل، والروح، والمادة، وبين الدنيا والآخرة، في منظومة متوازنة لا تعرف الانفصال بين ما هو مشهود، وما هو غيبيٌّ، مما يجعل الإيمان بالغيب ضرورة عقلية لا يمكن الاستغناء عنها.

ثانيًا: منهج البحث.

يعتمد منهج البحث في دراسة (التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب وسبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية) على عدة مناهجَ بحثية تتناسب مع طبيعة الموضوع، وتتكامل فيما بينها؛ لتحقيق أهدافه، وذلك على النحو الآتي:

١ - **المنهج التحليلي**: يقوم على تحليل المفاهيم المرتبطة بالبحث، وبيان دلالتها في ضوء العقيدة الإسلامية، وتحليل أصل الشبهات المثارة حولها، وكشف ما تشتمل عليه من مغالطات فكرية ومنهجية، واستنباط حلول واقعية؛ لمواجهتها.

٢ - **المنهج النقدي**: يقوم على الوقوف على الأخطاء العلمية والمنهجية للأفكار الفلسفية التي تنكر الغيب، وذلك ببيان أوجه القصور وجوانب التهافت في مناهجها، مقابل عرض الرؤية الإسلامية في ضوء قواعد العقل السليم والنقل الصحيح.

٣- **المنهج التاريخي**: يقوم على تتبعّ الجذور التاريخية للتحديات الفكرية المتعلقة بالإيمان بالغيب، كالمادية والعقلانية، وتتبع تطورها عبر العصور المختلفة، حتى وصولها لصورتها الحديثة في الفكر الغربي المعاصر.

٤- **المنهج الاستقرائي**: يقوم على تتبعّ وجمع النصوص الشرعية المتعلقة بالإيمان بالغيب، بالإضافة إلى استقراء نماذج واقعية من الشبهات المعاصرة التي يثيرها المنكرون للغيب، وتحليلها للتصدّي لها.

٥- **المنهج المقارن**: يقوم على المقارنة بين الرؤية الإسلامية للغيب كما وردت في النصوص الشرعية، وبين الرؤية الفلسفية والمادية والعقلانية الحديثة؛ لبيان نقاط الاتفاق والافتراق، مع الاستفادة من جهود علماء الإسلام في معالجتها.

ثالثًا: المشكلات البحثية.

ينطلق هذا البحث من سؤال رئيسي مفاده: ما التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب؟ وما سبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية؟ وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية التي يسعى البحث للإجابة عنها، وهي:

١- كيف يمكن التحرّر من الخلط بين المفاهيم الناتجة عن تعدد دلالات الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، وكيف تحرّر المصطلحات بدقة ووضوح في البحث بما يرسخ مفهوم الإيمان بالغيب في العقيدة الإسلامية؟

٢- ما أبرز التحديات الفلسفية والفكرية المعاصرة التي تواجه الإيمان بالغيب؟ وكيف تسللت للفكر الإسلامي؟ وما مدى أثرها في تشكيل الوعي لدى المجتمعات الإسلامية؟

٣- كيف أثرت النزعات المادية والعقلانية والتفسيرات الحداثية للنصوص الشرعية، في فهم مفهوم الغيب والإيمان به؟

٤- هل يتعارض الإيمان بالغيب مع الاكتشافات العلمية الحديثة أم أن بينهما إمكانا للتكامل؟

٥- ما حدود العلاقة بين العقل والوحي في باب الإيمان بالغيب؟ وهل يمكن التوازن بينهما دون إفراط عقليّ، أو تفريط نقلي؟

٦- إلى أيٍّ مدى تؤثر وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة على قضايا الإيمان بالغيب؟ وكيف يمكن استخدامها وتوظيفها بشكل إيجابي لمواجهة التحديات المعاصرة؟

٧- ما سبل مواجهة التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب في ضوء العقيدة الإسلامية؟ وكيف يمكن تقديم حلول فكرية وعملية ترسخ الإيمان بالغيب وتعزز من حضوره في حياة المسلم؟

رابعًا: الأهداف.

١- تحرير المفهوم العقدي للإيمان بالغيب من خلال بيان أبعاده النَّقلية، والعقلية بما يرسّخ فهمه في ضوء العقيدة الإسلامية.

٢- تسليط الضوء على الغيب كعنصر جوهري في العقيدة الإسلامية؛ إذ يستمد منه سر الإيمان الذي يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى، مع التأكيد على أنَّ العلم بالغيب من أسرار الله تعالى، وأن المفكر المسلم يجب أن يقف عند حدود الغيب ويؤمن به؛ لأنَّ التفريط أو التشكيك في هذا الإيمان يفقده مكانته البشرية، ويجعله في مرتبة أقرب للحيوانية.

٣- استكشاف التحديات الفكرية المعاصرة التي تهدّد استقرار الإيمان بالغيب، وبيان مدى تأثيرها على المجتمعات الإسلامية.

٤- كشف أثر النزعة المادية، والعقلانية على التصورات الدينية، وتفنيد محاولات تأويل الغيب بمنظور مادي صرف بالأدلة العقلية والنقلية.

٥- دراسة التفسيرات المتباينة للنصوص الشرعية، وأثرها على تصور الإيمان بالغيب، مع تقديم قراءة عقدية متّزنة ترد على الانحرافات.

٦- توضيح العلاقة بين العقل، والنقل في فهم الغيب، وإبراز التكامل بينهما، ودحض

التصورات التي تفترض تعارضهما.

٧- تحليل دور التكنولوجيا والإعلام في بناء أو زعزعة التصور العقدي للغيب، ووضع آليات؛ لترسيخ الإيمان ومواجهة التحديات الفكرية.

٨- تقديم دراسة تطبيقية عملية لمواجهة التحديات المعاصرة، ومن أبرزها الشبهات العقلانية والإلحادية.

خامسًا: الدراسات السابقة.

توجد عدة دراسات تناولت مسائل الإيمان بالغيب بصفة عامة دون التطرق لتطبيقات التحديات المعاصرة وسبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية، ومن أبرز تلك الدراسات ما يأتي:

- دراسة الدكتور/ بسام علي سلامة العموش، الإيمان بالغيب، طبعة: دار المأمون ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
- دراسة الدكتور/ يحيى سلامة، الإنسان والغيب، منشورات العصر الحديث، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.
- دراسة الباحثين/ خميس بن راشد العدوي، وخالد بن مبارك الوهيبي، الإيمان بين الغيب والخرافة، طبعة: مكتبة الغبيراء، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.
- دراسة الباحثة/ فوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي، أصول الإيمان بالغيب وآثاره، رسالة دكتوراه بكلية التربية للبنات بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ/ ١٤٢٧ هـ.

ويختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في تركيزه على التطبيقات والتساؤلات التي يواجهها الإنسان المعاصر في الإيمان بالغيب، حيث يميل مدعو التجديد من التيارات المادية في

عصـرنا إلى إعطاء الأولوية للمعرفة الحسـية والتجريبية، مما يؤدي إلى تشـكيك البعض في القضايا الغيبية، وقد تناول هذا البحث أهم التحديات المعاصرة التي تواجه الإيمان بالغيب، وعوامل انتقالها إلى المجتمعات الإسـلامية، وكيفية مواجهتها في ضـوء العقيدة الإسـلامية، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة.

سادسًا: خطة البحث: يتكون البحث من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات.

- المطلب الأول: مفهوم التحديات المعاصرة
- المطلب الثاني: مفهوم الإيمان بالغيب
- المطلب الثالث: مفهوم العقيدة الإسلامية

المبحث الثاني: التحديات المعاصرة المتعلقة بالإيمان بالغيب.

- المطلب الأول: تحديات التيارات الإلحادية المعاصرة وتطبيقاتها
- المطلب الثاني: تحديات النزعة العقلانية المفرطة وتطبيقاتها.

المبحث الثالث: سبل مواجهة التحديات المعاصرة في قضايا الإيمان بالغيب.

- المطلب الأول: دور الأدلة العقلية والنقلية في دعم الإيمان بالغيب.
- المطلب الثاني: عوامل انتقال دعاوى إنكار الإيمان بالغيب في المجتمعات الإسلامية، وسبل مواجهتها.

الخاتمة: وتتضمن: (أهم النتائج- أبرز التوصيات)

المبحث الأول
تحديد المفاهيم والمصطلحات

يسهم تحديد المفاهيم والمصطلحات في توضيح المقصود من الكلمات والمفاهيم المستخدمة في البحث بشكل دقيق، مما يضمن فهمًا صحيحًا وواضحًا للموضوع قيد الدراسة، وسوف أتناول في هذا المبحث (مفهوم التحديات المعاصرة)، ثم (الإيمان بالغيب)، وأخيرًا (العقيدة الإسلامية)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم التحديات المعاصرة.

يشير مصطلح "التحديات المعاصرة" إلى مجموعة واسعة من المشكلات والقضايا التي تواجه العالم في الوقت الحاضر، وهي قضايا معقدة ومتشابكة، وتتطلب جهودًا مشتركة من المؤسسات والأفراد لمواجهتها، ولتحقيق فهم أدقَّ نعرض مفهوم "التحديات المعاصرة" من جهة اللغة العربية والاصطلاح من خلال ما يأتي:

أولاً: التحديات المعاصرة في اللغة.

تحرير المصطلح في اللغة العربية لا يتم إلا من خلال تحديد الألفاظ التي يتكون منها، وبالتالي سوف أقف على لفظي (التحديات) و(المعاصرة) في مصادر اللغة العربية.

أ- التحديات.

التحديات جمع التحدي، ويأتي لفظ (التحدي) في اللغة العربية على العديد من المعاني، منها: الغلبة والمنازعة: "يقال: فلان يتحدى فلانا: أي يباريه وينازعه الغلبة"[1]، كما يطلق لفظ (التحدي) على ما يواجه من عقبات أو أخطار أو تهديدات، يقال: "كثرت تحديات

(١) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د يوسف محمد عبد الله، طبعة: دار الفكر المعاصر (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج٣/ ص١٣٦٩.

العالم الأخيرة، والتحدي يثير العداء، والتحدي والاستجابة: نظرية في فلسفة التاريخ مؤداها: أن الحضارة تنشأ عندما يواجه شعب ما تحديا يهدد كيانه، فيواجه هذا التحدي ببذل جهد مضاعف استجابة لحب البقاء"[١]، لذلك جاء في مصادر اللغة التحدي، هو "التعرض يقال: تحدّى فلان لفلان، إذا تعرّض له للشر"[٢].

مما سبق، يتبين أن مفهوم لفظ التحدّي في اللغة العربية يدور حول: ساحة الغلبة، والمنازعة ضد المتغيرات السريعة، والأزمات، حيث تتطلب مواجهة الأخطار وعيًا، ومرونة، وقوة، ولا سبيل لمقاومتها إلا عبر التعرض للصعاب وتجاوزها.

ب- المعاصرة.

لفظ المعاصرة في اللغة مصدر عاصر، يقال: "المعاصرة حجاب وجود شخصين متنافسين في عصر واحد يحجب شهادة كلّ منهما في الآخر، والمعاصرة: معايشة الحاضر بالوجدان والسلوك والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه"[٣].

كما يقال في اللغة: "عاصرت فلانًا معاصرة وعِصارا، أي كنت أنا وهو في عصر واحد، أو أدركت عصره"[٤].

من خلال ما سبق، يتبين أن لفظ معاصرة في اللغة العربية يدور حول: معايشة الحاضر

---

(١) د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، طبعة: عالم الكتب. مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ج١/ ص٤٦١.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ج٣/ ص١٢٧٢.

(٣) د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢/ ص١٥٠٨.

(٤) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: دار الهداية، بدون تاريخ نشر، ج١٣/ ص٧٣.

بوعي وإدراك، واستثمار منجزاته العلمية، والفكرية في هذه الفترة الزمنية، مع التفاعل الإيجابي لتحولاته، وتطوراته، في إطار رؤية متجددة تحقق للإنسان تقدمه ورقيه.

ثانيًا: التحديات المعاصرة في الاصطلاح.

تعرف التحديات المعاصرة في الاصطلاح بأنها: "أزمة تنجم عن شيء جديد، ويأخذ صفة المعاصرة، لحين ظهور غيره، يولد حاجة لدى المجتمع الذي يندفع بها نحو التغلب عليه، ويتطلب تغيرًا شاملًا في شتى مناحي الحياة"(١).

وبناءً عليه فالتحديات المعاصرة تعبر عن أزمات تواجه المجتمعات، وتوصف بالمعاصرة لكونها تظهر في العصر الحاضر، وبمرور الزمن يُنزع منها صفة المعاصرة، وبالتالي لكل عصر تحدياته وأزماته التي تحتاج لحلول، ولا ريب في ظهور تلك الأزمات والتحديات؛ لأنها سنة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(٢).

كما تعرف بأنها: "محاولات الغربيين ومن سار على نهجهم معارضة ومنازعة ومغالبة الاتجاهات الإسلامية المعاصرة؛ لتأصيل القيم والنظم والتربية والحضارة المعاصرة على الأسس الاعتقادية والتشريعية والقيم الأخلاقية والآداب الاجتماعية الإسلامية"(٣).

من التعريف السابق يتضح: أنّ مفهوم التحديات المعاصرة في العقيدة يشير إلى المشاكل، والصعوبات التي تواجه العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، هذه التحديات قد تكون فكرية، ثقافية، اجتماعية، أو سياسية.

---

(١) محمد كتش، العالم التربوي على صفيح ساخن (دراسة للمنظومة التربوية لإشكالية الأصالة والمعاصرة)، مركز الكتاب، ١٤٢٢هـ، ص٤٠.

(٢) سورة البلد: الآية ٢.

(٣) د. مقداد يالجن، دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، طبعة: عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص٩.

والتحديات المعاصرة في العقيدة يمكن أن تشمل التحديات الفكرية، مثل: التحديات التي تطرحها الفلسفة الحديثة، والفكر الليبرالي، والفكر العلماني على العقيدة الإسلامية، كذلك التحديات الثقافية، مثل: التحديات التي تطرحها الثقافة الغربية، والثقافة العالمية على العقيدة الإسلامية، والتحديات العلمية، مثل: التحديات التي يطرحها العلم الحديث، والتقنيات الحديثة على العقيدة الإسلامية، والتحديات التي تطرحها التفسيرات المختلفة للنصوص الدينية.

إنَّ التحديات التي يواجهها الإسلام اليوم "تقوم على أساس من إثارة الشبهات والشكوك، والمغالطات الجدلية، وتؤدي دورا خطيرا في حلبة الصراع الفكري، هذا الميدان الذي يُعَدّ من أخطر الميادين التي قام فيها الصراع بين الإسلام والغرب حديثا، ومن هنا كان سلاح الفكر والثقافة من أقوى الأسلحةَ وأبلغها في مواجهة القوة المعادية للإسلام والعروبة"[١].

أما عن تاريخ تلك التحديات وتطورها عبر العصور "فقد واجه الإسلام تحديات كثيرة ومختلفة منذ ظهوره في الجزيرة العربية مع بداية القرن السابع الميلادي، وما زال أمره كذلك إلى يومنا هذا، وسيظل هكذا إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهذه التحديات في عصرنا الحاضر تَلبِس رداء المنهج العلمي، أو ترتدي الزي الحضاري، وهذان الثوبان قد أضيفا عليهما ما يسمونه بالعصرية والتمدن، مما جعلها ذات تأثير كبير في نفوس المسلمين، وغايتها هدم الإسلام ومحوه من نفوس الناس، فهناك تحديات تاريخية، وعقدية، وأخلاقية، وعلمية، وتشريعية، وغيرها، تولى إثارتها والترويج لها جهات وأشخاص متعددة، فظهرت على يد أشخاص ملئ الحقد نفوسهم على الإسلام، أو كتبت عن جهل بالإسلام فضلا عن التعصب الديني والمذهبي "[٢].

(١) د. نصر الدين مصباح القاضي، منهج الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، طبعة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٦٧.

(٢) د. نصر الدين مصباح القاضي، منهج الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص١٦٨.

وجاء أغلب هذه التحديات على لسان وأقلام ما يسمون بالمستشرقين والمبشرين، الذين التقت رسالتهم، وتوحدت جهودهم لإخضاع العالم العربي والإسلامي لنفوذ الغرب السياسي والاقتصادي، وقد حقق هؤلاء بعض ما أرادوا، وهنا يكمن الخطر بالأمة الإسلامية، ولمواجهة هذا الخطر، استلزم الأمر: إيجاد منهجا فكريا إسلاميا رصينا يضع الردود الحاسمة والصالحة لتقف وتصمد ضد هذه التحديات، إن لم تقض عليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وضع منهجا تربويا وتعليميا متكاملا، لإيجاد سياج علمي لحماية الناشئة من الانجراف وراء تلك المغالطات الفكرية التي تمثلها هذه التحديات، ويعزز في نفوسهم الانتماء بحق للإسلام.

المطلب الثاني: مفهوم الإيمان بالغيب في اللغة والاصطلاح.

الإيمان بالغيب يقوم على التصديق القلبي، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة الإسلامية، حيث يعد أحد أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1].

أولاً: الإيمان في اللغة والاصطلاح

أ- الإيمان في اللغة

وردت مادة الكلمة (أ.م. ن) في القرآن الكريم فيما يزيد عن خمسمائة موضع[2]، وذلك بأكثرَ من اشتقاق؛ فوردت (اسمًا) في أربعة عشر موضعًا، منها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) ينظر/ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، طبعة: دار الحديث بالقاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٤هـ، ص٨١: ٩٣.

يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ (١)، ووردت (مصدرًا) في ثلاثةَ عشرَ موضعًا، منها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢)، ووردت (صفة) في نحو مائتي موضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٣)، كما وردت (فعلا) في أكثر من ستين ومائتي موضع، منها قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤).

كذلك وردت مادة الكلمة في مصادر اللغة العربية دالّةً على معانٍ متعددة، منها:

التصديق القلبي: حيث يعرف الإيمان بأنه: "التصديق نفسه"(٥)، وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (٦)، أي بمصدِّقٍ لنا، ولما كان الإيمان بمعنى

(١) سورة غافر: الآية ١.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢، وظاهر الآية الكريمة يؤكد أن الإيمان يزيد وينقص، وهو ما أكدَّ عليه علماء أهل السنة والجماعة، ينظر أحمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبعة: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ، ج٢/ ص٣٠٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٢.

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، طبعة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م، ج٨/ ص٣٨٩.

(٦) سورة يوسف: الآية ١٧.

التصديق "والتصديق لا يكون إلا بالقلب، فالله تعالى (آمَنَ) عباده من أن يظلمهم"[١].

طمأنينة النفس وزوال الخوف تقول العرب: " قوّة الإيمان تملأ القلب طمأنينة "[٢]، والمعنى: أنّ الطمأنينة تحصل إذا استقر الإيمان في القلب[٣].

وجاء في لسان العرب أنَّ الإيمان: "إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي محمد (ﷺ)، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن، مسلم، غيرُ مرتاب، ولا شاكّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، لا يدخله في ذلك ريب"[٤].

صدق الأمانة: ذكرت مصادر اللغة أصل الإيمان: "الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها[٥]، فإنِ اعتقد التصديق بقلبه كما صدَّق بلسانه فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق"[٦].

---

(١) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، طبعة: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ ١٩٩٩ / هم، ص٢٢.

(٢) د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١/ ص١٢٤.

(٣) ويمكن الاستدلال عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ سورة الأنفال: الآية ٢.

(٤) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، طبعة: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤ ه، ج١٣/ ص٢٣.

(٥) فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه، فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب، فإنه لا يخلو من وجهين: أحدهما: أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقوله، وما يقال له، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق وترك قبول الصواب، أعاذنا الله من هذه الصفة، وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم، أو جهل فتعلم ممن علم، وسلمنا من آفات أهل الزيغ والبدع، وحسبنا الله ونعم الوكيل. محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج١٥/ ص٣٦٩.

(٦) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٤/ ص١٨٧.

الثقة: يقال في اللغة: "ما آمن أن يجد صحابة، إيمانا، أي: ما وثق، والإيمان: الثقة"[١].

ومن خلال المعاني اللغوية السالفة، يمكن القول أنّ مفهوم الإيمان في اللغة يدور حول: التصديق القلبي الجازم الذي تستقرُّ به النفس وتطمئنّ، فيزول عنها الخوف، ويتحقق الخضوع والقبول، مما يثمر عنه صدق الأمانة، ويعززُ الثقة في قيمه ومبادئه.

ب-الإيمان في الاصطلاح:

تعددت تعاريف الإيمان اصطلاحا، ومن أبرز تلك التعريفات:

قولُ الإمام الأشعري (ت: ٣٣٠هـ): "الإيمان هو التصديق"[٢]، كما عرّفه الإمام الرازي (ت: ٦٠٦هـ) بقوله: " مذهبنا أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب"[٣]، وفي عرف استعمال أهل الحق من المتكلمين: "عبارة عن التصديق بالله، وصفاته، وما جاءت به أنبياؤه، ورسالاته، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: الإيمان هو التصديق بالله، وباليوم الآخر كأنَّك تراه، فمن وفَّقه الله لهذا التصديق، وأرشده إلى هذا التحقيق فهو المؤمن الحقُّ عند الله"[٤]، ومَن لم يوفقهم الله فقد "جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله، وصفاته[٥].

(١) محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، ج١٥/ ص٣٧١.

(٢) الإمام أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تقديم وتعليق: دكتور/ حمودة غرابة، طبعة: الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص١٣٠.

(٣) الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ج٨/ ص٢٨٤.

(٤) سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص٣١٠.

(٥) الإمام أبو حامد محمد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، طبعة: دار الكتب الحديثة، مصر، ص١٣٥.

وبناءً عليه يتبين أنَّ مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة يدور حول التصديق القلبي، وهذا المفهوم مستمدٌّ من الأصل القرآني الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[1]، أي ما أنت بمصدِّق لنا.

كما توجد استعمالات أخرى لمصطلح الإيمان: "فالإيمان يُسْتَعْمل تارَة اسمًا للشَّريعَةِ الَّتِي جاء بهَا النبيَ (ﷺ)، وتارَة يُسْتَعْمل على سبيلِ المدْحِ، ويُرادُ بِهِ إذْعانُ النَّفْسِ للحقِّ على سبيلِ التَّصْديقِ، وذلكَ باجْتِماعِ ثلاثَةِ أَشْياءَ: تَحْقيقٌ بالقلْبِ، وإقرارٌ باللِّسانِ، وعَمَلٌ بالأرْكانِ، ويقالُ لكلِّ واحِدٍ مِنَ الاعْتِقادِ، والقَوْل، والصِّدْق، والعَمَل الصالحِ إيمان"[2].

ولما كان مفهوم الإيمان يدور حول التصديق القلبي لدى علماء أهل السنة والجماعة، فقد فسّر الإمام أبو حامدٍ الغزالي هذا التصديق بأنه: "التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب"[3]، وبالتالي حتى يتحقق الإيمان لا بُدَّ من الطمأنينة القلبية القائمة على الثقة بوجود الغيبيات التي أخبر عنها الشرع الشريف، فإذا تحققت تحقق الإيمان والعكس صحيح.

ج- الفرق بين الإيمان والإسلام

ربما يظنُّ ظانٌّ أنَّ مفهوم الإيمان مقارب لمفهوم الإسلام؛ لذا عمد علماء الإسلام لتوضيح الفروق الدقيقة بينهما، وهو ما سأذكره فيما يأتي:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٢) مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج٣٤/ ص١٨٧.

(٣) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٨/ ص١٢٣.

أولاً: الفرق من جهة المحلّ:

ذهب علماء الإسلام إلى أنَّ الإيمان يختلف عن الإسلام من جهة محلهما، "فالإيمان عبارة عن التصديق، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾[١]، أي: بمصدّق، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد، وترك التمرُّد، والإباء، والعناد، وللتصديق محلّ خاصّ وهو القلب، واللسان ترجمان، وأما التسليم فإنه عامّ في القلب، واللسان، والجوارح، فإنَّ كلَّ تصديق بالقلب فهو تسليم، وترك الإباء، والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح، فموجب اللغة أنَّ الإسلام أعمَّ والإيمان أخصُّ، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فإذن كل تصديق تسليم، وليس كل تسليم تصديقا"[٢].

ثانيا: الفرق من جهة الشرع.

يقرر الإمام الغزالي أنَّ هناك اختلافًا بين الإيمان والإسلام من جهة الاستعمال في الشرع، حيث ورد استعمالهما في الشرع على النحو الآتي:

١- ورودهما على سبيل الترادف والتوارد، ويستدلّ عليه بقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾[٤].

٢- ورودهما على سبيل الاختلاف، ويستدلّ عليه بقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ

(١) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٢) أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة: دار المعرفة، بيروت، ج١/ ص١١٦.

(٣) سورة الذاريات: الآيات ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة يونس: الآية ٨٤.

لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

٣- ورودهما على سبيل التداخل، ويستدلّ عليه بما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه: سئل فقيل: أيُّ الأعمال أفضل، فقال (ﷺ): الإسلام، فقال أيّ الإسلام أفضل، فقال (ﷺ): الإيمان[2].

ويرى الإمام الغزالي أنَّ هذا التداخل هو أوفق الاستعمالات في اللغة؛ لأنَّ الإيمان عملٌ من الأعمال؛ وهو أفضلها، والإسلام هو تسليم إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالجوارح، وأفضلها الذي بالقلب، وهو التصديق الذي يسمى إيمانًا، والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوُّز في اللغة[3].

ثانيًا: مفهوم الغيب في اللغة والاصطلاح

وردت مادة الكلمة (غ. ي. ب) في القرآن الكريم ثماني وخمسين مرةً، منها قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ

(١) سورة الحجرات: الآية١٤.

(٢) أخرجه أحمدُ، والطبراني من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الأخير، فقال يا رسول الله أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. وإسناده صحيح.

(٣) ينظر: أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١/ ص١١٦، ١١٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[٢].

أ. الغيب في اللغة

وردت مادة الكلمة (غ. ي. ب) في معاجم اللغة على عدة معانٍ، أوردها فيما يأتي:

الستر والخفاء: يقال الغيب: كلُّ ما غاب عن علم الإنسان، ولم يدرك بالحواس، كما يقال: "سمعت صوتًا من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه"[٣]، والغيب: "كلُّ ما غاب وخفِي عن الإنسان[٤]،" كذلك وردت بمعنى الغيبة عن الأنظار، يقال: تغيب عني الأمر، أي: بطن"[٥]، والأمرُ الباطن هو المستور الخفي.

كل ما أخبر به الرسول بما لا تصل إليه العقول: ذكرت مصادر اللغة أن الغيب: "ما غاب عن الناس، مما أخبرهم به النبي (ﷺ) من أمر البعث والجنة والنار، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب"[٦].

الوجود اللا محسوس: جاء في لسان العرب الغيب: ما غاب عن العيون، وإن كان محصلًا

(١) سورة الأنعام: الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٣) ينظر: محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج١/ ص٦٥٤، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، طبعة: دار الدعوة، ج٢/ ص٦٦٧.

(٤) د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢/ ص١٦٥٣.

(٥) مرتضى الزبيدي، تاج العروس ج٣/ ص٥٠١.

(٦) المصدر السابق، ج٣/ ص٤٩٧.

في القلوب[١].

الوجود المطلق (الذات الأقدس): الغيب هو الله تعالى؛ لأنه لا يُرى في الدار الدنيا، وإنما ترى آياته الدالّة عليه، المشيرة إليه"[٢]، يدلُّ عليه قوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣] فهو الظاهر بآياته، وصفاته البادية في أنحاء الكون، المحتجب بذاته؛ لأنَّ ذاته لا تُدركها الحواسّ، ولا العقول.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أنَّ مفهوم الغيب في مصادر اللغة يدور حول: الحقيقة المستترة عن الحواس والعقول، إلا بقدر ما شاء لها الوحي المعصوم أن تناله من نور الهداية والإرشاد؛ لارتباطها بالذات الأقدس، الذي لا يحيط بإدراكه العقل البشري.

ب. الغيب في الاصطلاح.

عندما يطلق لفظ الغيب يتبادر إلى الأذهان أنه كل ما غاب عن الإنسان واستتر، ومن هنا تعددت التعاريف الاصطلاحية لهذا الغيب، ومن أبرز هذه التعريفات ما يأتي:

عرَّفه الإمام الرازي(ت:٦٠٦هـ) بأنه: الذي يكون غائبا عن الحاسة، ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل، وإلى ما ليس عليه دليل[٤].

---

(١) محمد ابن مكرم ابن منظور لسان العرب، ج١/ ص٦٥٤، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج٢/ ص٦٦٧.

(٢) أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، تقديم ومراجعة: فتحي حجازي، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى١٤١٩ /١٩٩٩هم، ج٤/ ص١٣٩٦.

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

(٤) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢/ ص٢٧٣.

من الواضح أنَّ الإمام الرازي في عرضه لمفهوم الغيب لجأ إلى التعريف بالتقسيم، حيث قسَّمه إلى غيب يوجد عليه دليل، وغيب لا يوجد عليه دليل، مثال الغيب الذي عليه دليل في العلم الحديث: احتمال وجود حياة على كوكب المريخ، والدليل على ذلك الصور الواردة من التلسكوبات الفلكية التي أظهرت وجود مظاهر للحياة كالماء، ومثال الغيب الذي ليس عليه دليل: افتراض وجود أكوان متعددة مطابقة لهذا الكون[١]، وبالتالي فتعريف الغيب بهذا المعنى هو تعريف عام يطلق عليه في العرف المنطقي التعريف بالرسم الناقص[٢].

(١) والدليل على ذلك ما ذكره بول ديفيز العالم الفيزيائي: "أنَّ سر نظام الطبيعة ما زال مخبأ عنا، ومكتوبًا بشفرة، وإننا بحاجة لأن نفكّ هذه الشفرة الكونية، كي نحرز التقدم العلمي، وأن نحفر تحت البيانات الخام؛ لنكشف عن النظام المخبأ، إنني أشبه العلم بحل الكلمات المتقاطعة، فالتجربة والملاحظة تمدنا بالأدلة، لكن الأدلة خفية". بول ديفيز، التدبير الإلهي (الأساس العلمي لعالم منطقي)، ترجمة: محمد الجورا، مراجعة علمية: الدكتور جهاد ملحم، طبعة: دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص١٦٢، كذلك يقرر ريتشارد دوكينز من أن: "احتمالية الأكوان المتعددة تشير إلى أن كوننا واحد من مجموعة ضخمة ولا نهائية من أكوان متميزة عن بعضها ومنفصلة مصادفة، قد يختلف في كل منها أي عدد من الأوجه الأساسية للواقع الفيزيائي، وهذا يفتح الباب أمام احتمالية جديدة عريضة لفهم وجودنا" ريتشارد دوكينز، كون من لا شيء، ترجمة: غادة الحلواني، طبعة: منشورات الرمل مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص٢٢٢.

(٢) ومن الرسم الناقص التعريف بالتقسيم: مثل الكلمة إما اسم، أو فعل، أو حرف، ومثل الفعل إما ماض أو مضارع أو أمر؛ لأنَّ انقسام الشيء إلى أقسامه خاصة من خواصه. د. محمد ربيع الجوهري، ضوابط الفكر، طبعة: مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١١٨.

كما عرّفه الإمام البيضاوي(ت:٦٨٥هـ) بأنه: "القلب؛ لأنه مستور"[١]، واستدلّ على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٣]، والمعنى يؤمنون بقلوبهم، لا كمن يَقُولُونَ بأفواههم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ[٤].

ويعَّرف الغيب بأنه: "الأمر الخفي لا يدركه الحسّ ولا يقتضيه بديهة العقل"[٥]، وهذا هو التعريف الخاص بالغيب، فالغيب الخاص على هذا المعنى لا يمكن إدراكه بالحس ولا بالعقل، كإدراك ذات الله تعالى، واليوم الآخر وما فيه من جنة ونار، والجن والملائكة، وهو مناط بحثنا، بخلاف الغيب العامّ السابق ذكره، الذي يمكن إدراكه مستقبلا بوجود قرينة، أو دليل يدل عليه.

وبناءً عليه "فعالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات، أو نفي استقلالا ذاتيا، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده، وصدق ناقله، وعند ذلك تسلم بمضمونه تسليما تاما دون مناقشة، أو اعتراض"[٦].

---

(١) الإمام ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨ هـ، ج١/ ص٣٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

(٣) سورة البقرة: الآية٣.

(٤) الإمام ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١/ ص٣٨.

(٥) محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ج٢/ ص١٢٥٦.

(٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، طبعة: دار القلم، دمشق. بيروت، =

كذلك من تعريفات الغيب: "ما غاب عن الحس وأدركه الإنسان بتحليله الفكري، أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله، أو أن يبقى سرًّا مكتومًا يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير"(١).

ثالثًا: مفهوم الإيمان بالغيب.

الإيمان بالغيب هو: "الإيمان بالخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه -أعلمنا الله إياه-، أو نصب لنا دليلا عليه، ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال: فلان يعلم الغيب، وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوّات وما يتعلق بها، والبعث، والنشور، والحساب، والوعد، والوعيد، وغير ذلك"(٢).

وذهب الإمام الرازي إلى أنَّ: "لفظ الغيب إنما يجوز إطلاقه على من يجوز عليه الحضور، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله تعالى، وصفاته، فقوله: (الذين يؤمنون بالغيب) لو كان المراد منه الإيمان بالغيب، لما دخل فيه الإيمان بذات الله تعالى، وصفاته، ولا يبقى فيه إلا الإيمان بالآخرة، وذلك غير جائز؛ لأنَّ الركن العظيم في الإيمان هو الإيمان بذات الله وصفاته، فكيف يجوز حمل اللفظ على معنى يقتضي خروج الأصل، أما لو حملناه على التفسير الذي اخترناه، لم يلزمنا هذا المحذور"(٣).

وبناءً عليه فإنَّ الإمام الرازي لم يَعُدّ وجود الله وصفاته من الغيب؛ لأن الغيب من وجهة نظره

الطبعة الرابعة عشر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص٢٠.

(١) بسام علي سلامة العموش، الإيمان بالغيب، طبعة: دار المأمون، الطبعة الأولى ١٤٣١ ٢٠١٠ / هم، ص١٣.

(٢) أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ، ج١/ ص٣٩.

(٣) الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ص٢٧٣.

هو ما غاب عن العقل واحتجب، ومظاهر وجود الله وصفاته منبثة في أرجاء الكون.

وقد خالف بعض العلماء فكرة الإمام الرازي السالفة لمفهوم الغيب، فعد وجوده جَل علاه من جهة ذاته وصفاته غيبًا، ومن هؤلاء الإمامُ القشيري(ت:٤٦٥ه)، حيث يقول: "وأمّا الغيب فما يعلمه العبد ممّا خرج عن حدّ الاضطرار، فكل أمر ديني أدركه العبد بضرب استدلال، ونوع فكر واستشهاد، فالإيمان به غيبيّ، فالربّ ﷻ غيب، وما أخبر الحق عنه من الحشر والنشر، والثواب، والمآب، والحساب، والعذاب، غيب، وقيل: إنما يؤمن بالغيب من كان معه سراج الغيب، وأن من أيّدوا ببرهان العقول آمنوا بدلالة العلم وإشارة اليقين، فأوردهم صدق الاستدلال ساحات الاستبصار، وأوصلهم صائب الاستشهاد إلى مراتب السكون، فإيمانهم بالغيب بمزاحمة علومهم دواعي الريب"[١].

وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن عجيبة (ت:١٢٢٤ هـ)، حيث قررَّ أنَّ الغيب هو: "الإيمان بوجود الحق، وبما أخبر به من أمور الغيب، يستدل بوجود أثره عليه، فإذا فني عن نفسه، وتلطَّفت دائرة حسه، وخرجت فكرته عن دائرة الأكوان، أفضى إلى الشهود والعيان، فصار الغيب عنده شهادة، والملك ملكوتًا، والمستقبل حالًا، والآتي واقعا"[٢].

أما عن مفهوم الإيمان بالغيب كمصطلح توصيفي، فمعناه: "أن ترجع في معرفة ما لا تعرفه إلى من يعرفه، ثم تصدقه في قوله، إنك لا تعرف ذات الله ولا صفاته، ولا تعلم بأن ملائكته يُسيرون شئون الكون بأمره، ويحيطون بالناس من كل جهة، ولا تعرف ما هو الطريق الصحيح لقضاء الحياة وفقا لمرضاته تعالى، ولا علم لك بالحياة الآخرة وما يحصل للعباد، فجميع

(١) الإمام عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، ص٥٦.

(٢) أحمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ص٧٤.

هذه الأمور وأمثالها إنما تنال علمها عن رجل تطمئنّ إلى صدقه، وعفافه، وتقواه في جميع شؤون حياته، وتختبره في أعماله النزيهة وأقواله الحكيمة، فتسلِّم بأنه لا يقول إلا الحق، وأن جميع أقواله جديرة بأن تقبلها، وتؤمن بها"[١].

وبناءً عليه فإنَّ الإيمان بالغيب واجب على كل إنسان، لا سيّما المسلم، فالله ﷻ ستر الغيب عن عيون الخلائق؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو، وصدق القائل:

إنما الغيب كتاب صانه عن عيون الخلق رب العالمين
ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حينا بعد حين[٢]

رابعًا: علاقة الغيبيات بالسمعيات.

توجد علاقة منطقية بين السمعيات والغيبيات، وهي علاقة عموم وخصوص مطلق[٣]، فليست كل الغيبيات سمعيات، وكل السمعيات غيبيات، فالغيبيات أعمّ، والسمعيات أخصّ، وقد اصطلح علماء العقيدة على تسمية عالم الغيب بالسمعيات، وأرادوا بها: "الأمور الغيبية التي لا تخضع لمقاييس الحسّ والعقل، ولا نستطيع التحقُّق من وجودها بوسائل المعرفة البشرية المجردة، وهي أمور تتعلق بما وراء المادة كالملأ الأعلى، وأحوال القيامة، والبعث، وأمور الحساب والجزاء، فهذه الأمور في ذاتها جائزة عقلا، لا يترتب عليها

(١) ينظر المودودي أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م، ص٣١.

(٢) محمد الغزالي السقا نقلا عن عباس محمود العقاد، عقيدة المسلم، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة يونيو ٢٠٠٥م، ص١٠٠.

(٣) علاقة العموم والخصوص المطلق: تكون بين المفهومين اللذين يصدق أحدهما على جميع ما يصدق عليه الآخر وعلى غيره، ويقال للأول أعمَّ مطلقا، والثاني أخص مطلقا، كحيوان وأسد، معدن وذهب، نبات وقمح. سعد الدين التفتازاني، مقدمة لكتاب شرح الخبيصي على متن تهذيب المنطق، تقديم: د. عبدالله محي عزب، طبعة: مكتبة الإيمان، بدون تاريخ نشر، ص٨٩.

مستحيل وجودا ولا عدما، لكن اعتقاد وجودها مرتبط بإخبار المعصوم الذي يتلقّى الوحي الإلهي ويؤيده الله تعالى بالمعجزات، فالإيمان بهذه الأمور جاء نتيجة السمع من المعصوم؛ لذا سميت سمعيات، والعقائد السمعية لا تؤخذ إلا من النص الصحيح قرآنا كان أو سنة، ولا مجال للاجتهاد فيها، ومن الخطورة أنَّ يدَع الإنسان لخياله العنان في تصورات لم ترِدْ في الشرع"[1].

المطلب الثالث: مفهوم العقيدة الإسلامية.

لما كان موضوع البحث (التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب وسبل مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية)، ينبغي بيان مفهوم العقيدة الإسلامية بعد بيان مفهوم التحديات المعاصرة، والإيمان بالغيب، مجاراةً للمنهج العلمي في تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات.

ومن المعلوم أن المركب التوصيفي (العقيدة الإسلامية) يتكون من لفظين (العقيدة)، و(الإسلامية) وسأتناول تحديد وتحرير كل لفظ على حدة، للخروج بمفهوم شامل للعقيدة الإسلامية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم العقيدة.

ورد لفظ العقيدة في كلّ من اللغة والاصطلاح دالًا على عدة معان:

أ- العقيدة في اللغة.

وردت مادة الكلمة (ع. ق. د) في القرآن الكريم زهاء سبع مرات[2]، منها قوله تعالى:

(١) د. محمد أحمد السيد المسير، عالم الغيب في العقيدة الإسلامية، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، ص١٠، ١١.

(٢) الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب العين، ص٤٦٨.

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾[٣].

كما وردت مادة الكلمة (ع. ق. د) في معاجم اللغة العربية دالةً على العديد من المعاني، منها:

الإحكام والإبرام. يقال: "فلان عقد العقد، يريدون أنه أبرمه، فلا يقبل الانفكاك، من حيث إنَّ أجزاءه يلتفّ بعضها إلى بعض، فلا يفصل بحال من الأحوال"[٤].

التأكيد. قالت العرب: "هذا عقّد قوله، يريدون أنه أكَّد عليه، بحيث لا يحتاج إلى شيءٍ بعده"[٥].

الرباط المحكم. تقول العربية: "هذا الأمر معقود لا يقبل الانفكاك، معناه: أنه رُبط ربَطًا محكمًا"[٦].

التوثيق. ذكرت مصادر العربية أنَّ: "هذا الشيء موثوق، يريدون أن أطرافه قد جمعت

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٩.

(٣) سورة طه: الآيات ٢٨.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، باب العين والقاف، ج٤/ ص٨٦.

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، باب الدال، فصل العين، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية١٣٩٩ ١٩٧٩/هم، ج٢/ ص٥١٠.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقد)، ج٣/ ص٢٦٩.

بحيث لا ينفرط واحد منها"[١].

ما يخفى بالقلب. يقال: "أن فلانًا أخفى عقيدته في قلبه، ورأى أنَّ الكتمان له خير من الإعلان"[٢].

من خلال ما سبق يمكن تعريف لفظ (العقيدة) إجرائيًا، على النحو الآتي:

العقيدة: الإيمان الجازم الذي يقوم على الإحكام والإبرام، بحيث ينعقد القلب عليه انعقادا محكما لا يقبل الاضطراب، ولا تزلزله الشكوك، ويظل مخفيا في أعماقه، موثقا باليقين لا يتزعزع، مؤكدا بالبرهان والدليل بحيث لا يقبل التردد.

ب- العقيدة في الاصطلاح.

يوجد العديد من التعريفات الاصطلاحية للعقيدة، منها:

العقيدة: "ما انعقد في القلب واستقرَّ فيه، ومن القلب تمتدُّ العقيدة إلى جميع الأعضاء، والحواس التي تقوم بالعمل بمقتضى هذا الإيمان"[٣]، وتعرف أيضا بأنها: "الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره،

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، طبعة: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م، حرف العين، ص٣٠٠.

(٢) أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ ١٩٩٨ – هم، باب العين، ج١/ ص٦٦٨.

(٣) الإمام محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م، ج١٦/ ص٩٨٦٢.

ويتخذه مذهبًا ودينًا، بغضِّ النظر عن صـحته من عدمها"[١]، كما تعرف بأنها: "مثل عليا يؤمن بها الإنسـان، فيضـحي من أجلها بالأموال والنفس؛ لأنها عنده أغلى من الأموال والنفس"[٢].

وتعرف العقيدة في الشرع بأنها: "ما يجـب شرعًا اعتقاده، والتصديق به تصديقًا جازمًا لا شكَّ فيه، ولا ريب"[٣].

أما مصطلح العقيدة الإسلامية، كمركب توصيفي، فيعرف بأنه: " الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع"[٤].

وبناء على هذه التعريفات، يتبين أن العقيدة أساسا لحماية المسلم لتجعله قادرا على مواجهة كل التحديات الفكرية، كما أنها لا تقتصر على مجرد الإيمان النظري، بل هي منهج متكامل يثمر العمل والتطبيق، فتترجم إلى التزام عملي يظهر أثره في السلوك والأخلاق، مما

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، طبعة: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ، ج٢/ ص٢.

(٢) محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٢٠.

(٣) ينظر: شرح سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، للإمام نجم الدين عمر النسفي، طبعة: دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي، ص١١.

(٤) عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ج٢/ ص٢.

يؤكد أن العقيدة الصحيحة لا تستقيم إلا إذا أثمرت سلوكا يعكس جوهرها، إذ لا يصح الإيمان بالغيب مثلا دون أن ينعكس على واقع الإنسان، بل إن الانفصام بين الإيمان والعمل يحدث خللا بين التصور الديني والسلوك الواقعي، وهو ما يستوجب التقويم والمعالجة.

المبحث الثاني
التحديات المعاصرة المتعلقة بالإيمان بالغيب

يمثل الإيمان بالغيب أهمية كبيرة في العقيدة الإسلامية، حيث لا يمكن إدراك الغيب المطلق بالعقول البشرية المحدودة؛ لصعوبة التفسير المادي لما يتعلق بالغيبيات، وقد أدرك علماء الإسلام هذه الحقيقة فلم يرهقوا عقولهم في بحثها وعولوا على النقل الشريف تعويلا كاملا، دون اللجوء لموازنة توفيقية بين العقل، والنقل في تفسيرها، أما بالنسبة لأصحاب النزعات المادية في العصر الحديث فقد استخدموا كل الأدوات المادية المتاحة لفهم تلك الغيبيات وتفسيرها، مقررين أن كل شيء موجود يمكن تفسيره وتحليله، أما الغير موجود فلا يمكن تفسيره، ومن هنا كان إنكارهم للغيبيات.

ويمكن القول: أن الإيمان بالغيب يواجه تحديات كبيرة في عصرنا، ومحور هذه التحديات ينطلق من فكرة حدود العقل وإمكانياته، فهل يمكن للعقل أن يصل إلى حقيقة الغيبيات؟

والجواب عن هذا التساؤل بالنسبة لعلماء الإسلام كان واضحا، وهو عجز العقول البشرية عن الوصول إليها، وهذا ما قرره حجة الإسلام الإمام الغزالي، حيث يقول: "فَافهَم أَن فِي مدركات البصائر أَيْضا تَفَاوتا فَمنْهَا مَا تحيط الْعُقُول بكنه حَقِيقَته، وَمِنْهَا مَا تقصر الْعُقُول عَنهُ، وَمَا تقصر الْعقُول عَنهُ يَنْقَسم إِلَى: ما يتصور أَن يحيط به بعض الْعُقُول وإِن قصر عَنه أَكْثَرهَا، وَإِلَى مَا لَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط الْعقل أصلا بكنه حَقِيقَته، وَذَلِكَ هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق الَّذِي جَاوز جَمِيع حُدُود الْعُقُول حَتَّى لَا تتَصَوَّر الْإِحَاطَة بكنهه وذلك هو الله تعالى"[1].

وهو ما قرره أيضا فخر الدين الرازي إمام المعقول، بقوله: "إن الانشغال بها، مضايق تعجز

(١) أبو حامد محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة: الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م، ص١٠٤.

عقول البشر عن الوصول إليها"[1].

ولا شك أن إقرار علماء المسلمين بعجزهم على معرفة الغيبيات المتعلقة بالعقيدة، هو اعتراف بإمكانيات البشر المحدودة، وعلى النقيض نجد أصحاب الاتجاهات الفلسفية المادية والإلحادية ينكرون تلك الغيبيات، بسبب عجز العقل عن تصورها، وراحوا يروجون لهذا الفكر العبثي لاستقطاب الشباب المسلم، فبئس ما يصنعون.

وبناءً عليه سوف أتناول في هذا المبحث التحديات المعاصرة المتعلقة بالإيمان بالغيب في مطلبين:

المطلب الأول: تحديات التيارات الإلحادية المعاصرة، وتطبيقاتها:

يُعَدُّ الإلحاد موقفا فلسفيا لا معتقدا دينيا، وهو لا يقوم على أسس منطقية متماسكة، وإن بدا كذلك في الظاهر؛ إذ ليس من المنطق في شيء أن ينكر الإنسان وجود ما لا يدركه عقله، فعدم الإدراك لا يستلزم العدم، فليس معنى أن عقلي لا يدرك وجود شيء أنَّ هذا الشيء غيرُ موجود، وهذا ما يكشف عن ارتباط الإلحاد المعاصر ارتباطًا مباشرًا بالنزعة العقلانية المفرطة، وكذلك بالفلسفة المادية التي تعلي من شأن الاكتشافات العلمية وتعدها كمصدر من مصادر المعرفة، كما يرتبط الإلحاد المعاصر بحركات التغريب، والاستشراق، والعولمة، والعلمانية، حيث يسعون لتفسير العالم والكون تفسيرا ماديا عقلانيا خالصا، دون اللجوء إلى أي نصٍّ ديني يفسّر ذلك، ويمثل هذا النمط من التفكير تحديًا فكريًا بالغا فيما يخص مسألة الإيمان بالغيب في العصر الحديث، حيث بات الإلحاد يتخذ من هذه القضية مدخلا للطعن في الأديان، خاصة الإسلام، وذلك من خلال إثارة الشبهات حول الغيبيات

(١) فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، تحقيق: د. عبدالله إسماعيل، ود. إبراهيم سويلم، طبعة: مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة: إحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص٢١٩.

التي يقرها الوحي، وفي هذا المطلب سأتناول مفهوم الإلحاد المعاصر، ثمّ استعرض نماذج تطبيقية من شبهات الملحدين المعاصرين حول الإيمان بالغيب، مع مناقشتها والجواب عليها في ضوء العقيدة الإسلامية.

أولاً: مفهوم الإلحاد.

أ. الإلحاد في اللغة.

بالبحث في أصل مصطلح الإلحاد، تبين أنه ليس مصطلحا حديثا بل هو قديم، فله وجود في البناء القرآني الشريف، ومصادر اللغة العربية، حيث وردت مادة لحد في القرآن الكريم، في ستة مواضع[١]، منها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، "فالملحد هو المنحرف، ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف عن الحق إلى الباطل"[٣]، وبالتالي، فالملحد هو الذي يميل عن الحق، ويخالف فطرة الله تعالى التي فطره عليه، فيتشكك في الأمور الثابتة من غير دليل ولا برهان.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

(١) الأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٦٤٥.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧/ ص٥٦٨.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٠.

بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

يعرف الإلحاد في اللغة بأنه: "الميل، إلا أنَّ الله تعالى بين أن الميل بالظلم هو المراد، واختلف في الظلم، فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم"، قال: الشرك"[2].

كما يعرف بأنه: "الميل عن القصد، وقال الزجاج: الإلحاد الشك في الله، وأصل الإلحاد في اللغة: الميل والعدول عن الشيء"[3].

وقد بين علماء الإسلام مظاهر الإلحاد، وآلية توظيفها لدى الملحدين، ويتجلّى ذلك بوضوح في تفسير ابن عجيبة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا ﴾ أي: "يميلون عن الحق في أدلتنا التكوينية، الدالة على وحدانيتنا، فلا ينظرون فيها، أو: يُلحدون في آياتنا التنزيلية بالطعن فيها وتحريفها، بحملها على المحامل الباطلة، ﴿ لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا ﴾ بل نجازيهم على ذلك، يقال: ألحد الكافر ولحدَ، إذا مال عن الاستقامة والحق"[4].

وبهذا يتبين أن الإلحاد بمفهومه العام، هو الميل عن الحق، وهذا الميل يظهر بمظهرين:

الأول: الأدلة التكوينية المشاهدة والتي تدل على وجوده تعالى ووحدانيته، فعميت أبصارهم فلا ينظرون إليها.

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٢) أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ ١٩٦٤ ،هم، ص٤٣٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٣/ ص٣٨٩.

(٤) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج٥/ ص١٨٢.

الثاني: الميل عن الحق بالطعن في النقل الشريف ومحاولة تحريفه.

وقوله تعالى" لا يخفون علينا" تقرير من رب البرية سبحانه، يؤكد على كونه تعالى مطلعًا على تلك المحاولات المتهافتة، مقررا جزاء هؤلاء وهو النار، وجزاء المؤمنين بالغيب، المتمسكين بالحق، وهو الجنة.

ب. الإلحاد في الاصطلاح.

يعرف الإلحاد في اصطلاح علماء المسلمين بأنه: "إنكار وجود ربٍّ خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدّبر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها"[١]، وعليه، "فالملحد لا شيء يشبع حاجاته؛ لأن عقيدته تخبره أنه ليس هناك شيءٌ كاملٌ أو شيء مطلق"[٢].

كما عرفه المعجم الفلسفي بأنه: "الاعتقاد بعدم وجود إله أو آلهة أو أي شيء خارج قوانين الطبيعة"[٣].

ويطلق على هذا النوع من الإلحاد: "الإلحاد الصلب أو الإيجابي وهو الذي يؤمن

(١) الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، طبعة: دار القلم، دمشق الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٤٣٣.

(٢) د. جفري لانغ، الصراع من أجل الإيمان (انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام)، ترجمة: د. منذر العبيسي، مطبعة: دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٦.

(٣) د. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، طبعة: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص٥٢٢.

صاحبه بعدم وجود الخالق، وبالتالي يتنكر للوحي والنبوات ولا يتدين بدين"[١]، وقد أشار الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى الأبعاد الفكرية لهذا النوع من الإلحاد بقوله: " إذا كان الإلحاد الغربي بنزعته الديناميكية هو ذلك الذي يعبر عنه نيتشــه حيث قال: (لقد مات الله)، وإذا كان الإلحاد اليوناني هو الذي يقول: (إن الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت)، فإن الإلحاد العربي هو الذي يقول (لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء)"[٢].

أما مفهوم مصطلح (الملحد) لدى أصحابه، فقد عرفه ريتشارد دوكينز[٣] بأنه: "شخص لا يؤمن بأنَّ هناك شيئًا ما وراء العالم الطبيعي الفيزيائي، وليس هناك من خالق متفكر ما وراء الطبيعة يتسنط من وراء الكّون، ليس هناك روح تبقى بعد بلاء الجسد، ولا معجزات، لكن هناك الآن بعض الظواهر الطبيعية التي لم نفهمها بعد، وسنتمكن في المستقبل من تقديم

(١) عبد الله صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، طبعة: دار تكوين، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١٩.

(٢) د. عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، طبعة: سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، ص٧.

(٣) ريتشارد دوكينز: هو البريطاني عالم بيولوجيا جزئية وإيثيولوجيا وفيلسوف في الأديان، ولد في نيروبي، كينيا في ٢٦ مارس ١٩٤١م، ويعمل حاليا لأكثر من جهة منها جامعة أوكسفورد البريطانية وجامعة كاليفورنيا في بيركلي بالولايات المتحدة، يقدم نفسه على أنه ملحد إنساني، وعلماني، شكوكي، وعقلانيّ علمي، وهو معروف بآرائه في الإلحاد ونظرية التطور، كما أنه من أبرز منتقدي نظرية الخلق ونظرية التصميم الذكي التي يروج لها المؤمنون بالأديان الإبراهيمية في أنحاء العالم، له الكثير من المقابلات في التليفزيون والراديو، كذلك له مجموعة من الأفلام الوثائقية التي تتناول موضوع الإيمان والإلحاد وعلاقة الأديان بالعلم وتأثيرها عليه. بسام البغداي، مقدمة كتاب وهم الإله لريتشارد دوكينز، شبكة الملحدين العرب، طبعة إلكترونية، الطبعة الثانية، ص٢.

تفسيرات لهذه الظواهر الغير مفهومة بشكل كامل باستخدام القوانين الطبيعية"[١].

ويتضح من ذلك الفرق بين مفهوم الإلحاد كما قرّره علماء الإسلام، ومفهومه كما تروج له التيارات الإلحادية المعاصرة، حيث ركز علماء الإسلام على بيان الموقف الإنكاري الذي يتبناه الفكر الإلحادي، المفسر للخلق بالمصادفة والمادة وغيرها من التفسيرات الواهية، أما دعاة الإلحاد المعاصر، فيعرفون أنفسهم بوصفهم علماء طبيعيين، يستندون إلى العلم التجريبي وقوانينه في فهم الكون ورفض أي تفسير آخر، ومن هنا جاء وصف الدكتور عبدالرحمن بدوي لطبيعة الفكر الإلحادي عبر التاريخ، موضحا الخلفية الأيدولوجية التي يقوم عليها، وبذلك تتجلى دقة علماء المسلمين في تحديد مصطلح الإلحاد وتحريره بما يكشف عن جوهره وحقيقته.

ثانيًا: المنهج الفكري للإلحاد المعاصر:

ذهب العلماء إلى أنَّ لكل مذهب أو تيار منهجا متبعا يسير عليه، يتشكل بحسب الغاية والهدف الذي يسعى إليه هذا المذهب أو التيار، ومن هنا يُعَدُّ المنهج: "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة، ويستخدم في المجال العلمي بمعنى الخطة المنظمة التي تشمل العديد من العمليات الحسية والذهنية، للوصول إلى قاعدة أو قانون، أو البرهنة على صحة فرض أو خطئه"[٢].

ويتحدَّد مفهوم المنهج في اتجاهين، الاتجاه الأول: كونه وسيلة توصل إلى غاية معينة سواء كانت صائبة، أم خاطئة، أما الاتجاه الثاني: فهو المنهج بالمفهوم الخاص الذي يقوم على خطة منظمة ينتقل فيها الذهن بطريقة مرتبة من جزئية إلى جزئية بهدف الوصول إلى

(١) ريتشارد دوكينز، وهم الإله، ص١٦.

(٢) د. عبد الرحمن سيد سليمان، مناهج البحث، طبعة: عالم الكتب، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٢١.

نتيجة وحقيقة علمية، وهذا هو المنهج العلمي الذي يعتمد على العقل، بجانب الملاحظة والتجربة[1].

والسؤال هنا: هل التزم التيار الإلحادي المعاصر منهجا علميا يقوم على أسس، وخطط منظمة، وواضحة من أجل الوصول للحقيقة، أم أنه اتبع منهجا عامًّا يخدم أهدافا معينة، بغض النظر عن كونه يصل لنتائجَ صحيحة، أو خاطئة؟

والجواب: إن مناهج البحث تتباين لدى الملحدين المعاصرين، فمنها ما هو فلسفّي يقوم على المادية، والعقلانية المطلقة، ومنها ما هو علميّ يفسر العالم الطبيعي تفسيرا ماديا بحتًا، حيث يؤدي هذا التفسير إلى انخفاض الإيمان بالغيب في المجمل، كذلك شيوع فكرة نسبية الأخلاق، والانبهار بالعلم التجريبي، وهو ما ترتب عليه انتشار الفكر الإلحادي.

وينطلق المنهج الفكري الإلحادي الحديث والمعاصر في إنكاره للغيب، من فكرة إنكار الخالق جَلَّ عُلاه، وحجتهم في ذلك، عدم الاستدلال على وجوده بالطرق الحسية، والعلمية، والتجريبية، وتناسَوا أنَّ الإيمان بالله أمر فطري، راسخ في أعماق النفس البشرية، فلا يمكن الاستغناء عنه، وقد عبَّر عن هذا المعنى الدكتور سعد الدين صالح بقوله: "الإيمان بالله طبيعة للنفس البشرية، فهو غذاء الروح التي تجوع كما يجوع الجسد تماما، والإنسان لا يستطيع أن يستقرّ في هذا العالم بغير إيمان، فهو لازم لوجوده؛ ومن هنا كان الإلحاد مرضا نفسيا وشذوذا؛ لأنّه مناقض لطبيعة تكوين الإنسان، مما يؤدي إلى الخلل في

(١) منهج الملاحظة والتجربة: يقوم في الأساس على الاستقراء المنطقي بنوعيه التام والناقص بهدف الوصول إلى قاعدة كلية، وعن أهمية هذا المنهج يقول الدكتور محمود قاسم: "ليس من الممكن أن ينشأ علم طبيعي إلا على أساس الجمع بين التفكير النظري وبين الملاحظة والتجربة". د. محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، طبعة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص٢٥.

كيانه، فالإيمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة، ومن هنا كان الإنسان الملحد إنسانا غير طبيعي، بما نلاحظه على فكره من الحيرة، واليأس، والانعزال، فالملحدُ بفكره يمثل شذوذا فكريًا، وخروجا على إجماع العقلاء، فهل يعقل أن يتفق الفلاسفة قديما وحديثا، والعلماء التجريبيون بمختلف تخصصاتهم: الأطباء، وعلماء الطبيعة، وعلماء الفلك، والنفس فضلا عن رجال الدين، هل يجتمع كل هؤلاء على خيال أو ضلال؟ كلا، فهذا الإجماع من العقلاء لا يمكن إلا أن يكون على حق، ولا يمكن أن يكون إجماعهم مصادفة، أو اتفاقا"[١]، إذن "الإلحاد محاولة فاشلة للخروج على الفطرة، أدت إلى الانحراف بها"[٢].

ويؤيد هذه النظرة علماء الغرب، حيث يذكر الدكتور بول سي فيتز صاحب كتاب نفسية الإلحاد أن: "الملحدين الذين يرفضون وجود الله، لديهم مشاكل، مثل عدم وجود معنى للحياة، والعزلة في الحياة الحديثة التي ظهرت كثيرا هذه الأيام، ويعد الإلحاد الافتراض الرئيس للكثير من الأيدولوجيات الحديثة والحركات الفكرية كالشيوعية، والاشتراكية، والكثير من الفلسفات الحديثة، وأغلب علم النفس المعاصر والعلم المادي"[٣].

أما عن المنهج العقلي لدى الملحدين، فالإنسان بقصوره العقلي يجهل أصول المشكلات

(١) د. سعد الدين صالح، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، طبعة: دار الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٨٤.

(٢) يحيى هاشم فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، طبعة: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٢.

(٣) د. بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، ترجمة: مركز دلائل، طبعة: دار وقف دلائل للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ٢٠١٣م، ص١٨.

التي يواجهها: مشكلة الوجود بدايته، ونهايته، وغايته، مشكلة المعرفة: إمكانها، وطبيعتها، وأدواتها، مشكلة القيم: الحق، والباطل، والخير، والشر، والنفع، والضر، والشقاء، والسعادة، وهو مع هذا الجهل يتطلَّع في شوق عارم إلى معرفة الحقيقة التي يجهلها، وعند هذه النقطة يفترق الحال بين المؤمن المتدين بدين الله، وبين الملحد، فالمتديّن بدين الله يتلقَّى المعرفة والتوجيه من الله مسلما به متبعا له، والملحد لا يرضى بهذا التلقي والاتباع، وإنما يبتدع المعرفة والتوجيه، ويحاول أن يصل إليها بنفسه مع قصوره، أو أن يصل إليها من غير طريق الله...، إذن مركز الدائرة في التفرقة بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإلحاد، هو عنصر الاتّباع لله ورسوله نجده في جانب الإيمان، وعنصر الابتداع والغرور والاستقلال الكاذب وبعبارة أدقّ الاتباع لغير الله، نجده في جانب الإلحاد(١).

والسؤال هنا: هل يعجز العقل عن إدراك كل الأمور الغيبية؟

والجواب: الله ﷻ فتح المجال أمام العقل للبحث قدر طاقته، فيستطيع أن يبحث، ويميِّز، ويقارن، ويستنبط، ويدرك كثيرًا من الأمور، ولكن الله سبحانه قصر إدراكه داخل نطاقه، فليس مؤهلا وحده لفهم جميع الحقائق، فعلى "الرغم من التقدم العلمي المذهل، فإن العقل عاجزٌ عجزا مطلقا عن إدراك كلِّ شيء، نعم، يستطيع العقل أن يقول كلمته في الأمور المادية، بل عليه أن يعمل جهده في إنتاجها، وتصنيفها، وتطويرها في خدمة الإنسان، أما فيما يتعلق بما وراء المادة، فعليه أن يحترم نفسه؛ لأنَّ ذلك المجال فوق طاقته وليس في إمكانه، ومن هنا كانت الكلمة الفاصلة في هذا الميدان إنما هي للخالق ﷻ"(٢)، يدل عليه

(١) ينظر: يحيى هاشم فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ص٣٣.

(٢) د. أحمد عبدالحميد الشاعر، القرآن في مواجهة الماديين الملحدين، طبعة دار القلم، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٠.

ظاهر قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١]".

وبالنظر فيما يسوقه الملحدون من إنكار للغيب، خاصة فيما يتعلق بوجود الله، لم أقف على دليل عقلي، أو علمي، أو منطقي واحد يمكن الاستناد إليه في دعواهم المضللة، وهو ما قرّره علماء الإسلام، بل علماء الغرب أيضا، يقول الدكتور/ بول سي فيتز: "رغم أن إثبات وجود الله أمر ممكن، إلا أن إثبات عدم وجود الله أمر ظاهر الاستحالة؛ لأنَّ إثبات عدم وجود أي شيء أمر مستحيل، وبمعنى آخر فإنَّ الإلحاد افتراض أدلى به بعض الناس في تفسيرهم حول طبيعة العالم"[٢].

وبناءً عليه يبدو أن المنهج الإلحادي المعاصر غير واضح المعالم، فتارة يدّعي أصحابه بأنهم أصحاب منهجٍ علميٍّ يستند إلى الملاحظة والتجربة، وتارة أخرى يدعون أنهم أصحاب منهج عقلي منطقي، إلا أن هذه الادعاءات قد نقضت بأدلة قاطعة لا تقبل الشكَّ، إذ كيف يفسرون بالملاحظة والتجربة فقط طبيعة هذه الحياة والمعرفة الإنسانية، والنفس، والقيم؟ كما أن العقل قاصر على إدراك كلّ الحقائق، وهو ما أجمع عليه العلماء قديما وحديثا[٣].

وفي ظل فشل أصحاب التيارات الإلحادية بمناهجهم المختلفة في تقرير الإيمان بالغيب، الذي يدل على ضعف مناهجهم للوصول لحقيقة هذا الإيمان؛ اعتمد علماء الإسلام المنهج القرآني الشريف في تقرير هذا الإيمان، انطلاقا من منطق البحث العملي

(١) سورة الملك: الآية ١٤.

(٢) د. بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، ص١٨.

(٣) ينظر: د.سعد الدين صالح، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، ص٨٤، ويحيى هاشم فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ص٣٢، و د. بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، ص١٨.

المتخصص، وهو دعوة قرآنية صريحة استنادا، لقول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، هذا منهجنا؛ لهذه الاعتبارات وغيرها، نتجه نحو المنهج القرآني بل نلتزم به، وندعو إليه، خاصة في مواجهة التيارات المادية العارمة، وذلك بوحدة موضوعية قرآنية شاملة"[2].

أثر التحديات الإلحادية في زعزعة الإيمان بالغيب:

لا شكّ أنَّ هذه المناهج الإلحادية تمثل خطرا كبيرا على شباب الأمة، حيث تؤدي إلى زعزعة عقيدة الإيمان بالغيب لدى بعض الأفراد، مستخدمة أحدث الوسائل الإعلامية، والتكنولوجية لنشر الأفكار الهدامة في قالب علمي مُغْرٍ، مما يربك العقول غير المحصّنة بالعقيدة الصحيحة، ويتسبب في الاضطراب الفكري، والنفسي، وانحراف الفطر السليمة؛ لذا فَطِن علماء الأزهر الشريف لهذا الخطر، فبدأت كليات جامعة الأزهر الشريف بإقامة مؤتمرات دولية للتنبيه على هذا الخطر الذي يهدد كيان الأمة، والخروج بتوصيات قابلة للتطبيق على أرض الواقع[3].

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢) د. أحمد عبدالحميد الشاعر، القرآن في مواجهة الماديين الملحدين، طبعة دار القلم، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٠.

(٣) من بين هذه الجهود: مؤتمر التكنولوجيا والترجمة وتعليم اللغات آفاق وتحديات، بتاريخ ٢١/ إبريل/ ٢٠٢٤م، ومؤتمر التحديات المعاصرة للدراسات الإسلامية والعربية "رؤى وآفاق" (كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات المنصورة)، ١٤٤٦ ٢٠٢٥ / هم، وهذا المؤتمر العلمي الدولي السابع بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة (التغريب في العلوم العربية والإسلامية، المظاهر، الأسباب، سبل المواجهة) ٢٠٢٥م، إلى غيرها من الدورات التثقيفية في الجامعات والمراكز البحثية وجناح =

ثالثا: أبرز تطبيقات دعاوى الملحدين حول الإيمان بالغيب، ومناقشتها:

في خضـــمّ النزاعات الفكرية حول قضـــية الإيمان بالغيب، وفي ظل صـــعود النزعة الإلحادية، ظهرت مجموعة من الدعاوى تقوم على مغالطات منطقية، وافتراضـــات باطلة، أبرزها:

الدعوى الأولى: دعوى الغيب فيروس العقل:

تنطلق هذه الدعوى من افتراض: "أن الإيمان بالغيب ليس إلا فيروســا يصــيب العقل البشــري"[١]، فكل ما لا يدركه العقل والحسّ، ولا يخضـع للتجربة العملية، هو ضـرب من الخيال، والوهم، والخرافة، مستندة إلى تصور مادي محض، يجعل العقل والحس والتجربة مصـــادر المعرفة فقط، ويفترضـــون أن العقل الإنســـاني مســـتقل بذاته، قادر على إدراك كل الحقائق دون الحاجة للوحي الإلهي.

المناقشة:

إنَّ دعوى الإيمان بالغيب بأنها فيروس للعقل من أبرز الدعاوى التي يطرحها بعض الملاحدة، وبناءً عليه فقد أنكروا الإيمان بوجود الله تعالى، والملائكة، وجميع الغيبيات، بحجة أنها لا تقبلها عقولهم ما دامت غير قابلة للإدراك الحســي أو الخضــوع للتجربة، متجاهلين بذلك حدود العقل البشري، ووظيفته، وإمكاناته، وقصوره عن الإحاطة بالقضايا الوجودية الكبرى، التي يعجز عن الإحاطة بها، وإدراكها إدراكا مستقلا، ولا شك أنها دعوى قاصرة ومتهافتة، وتصطدم بالواقع العلمي والفلسفي، والدليل على ذلك ما يأتي:

الأزهر في معرض القاهرة الدولي للكتاب، لمواجهة الشـبهات الإلحادية بهدف تعزيز الوعي الفكري لدى الطلاب، وتمكينهم من مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.

(١) ليســتر إدغار ماكغراث، وجوانا كوليكات ماكغراث، وهم دوكينز الأصــولية الملحدة وإنكار الإله، ترجمة: محمد عودة، طبعة: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، ص٦٩.

أولاً: حدود العقل والحس بين إقرار العلم وتناقض الإلحاد

إنَّ دعاة الإلحاد الذين يرفعون شعار راية العلم الحديث، يخطئون حين ينكرون الإيمان بالغيب، بدعوى أنه لا يخضع للتجربة، متناسين أن هذا العلم ذاته يعترف بعجزه عن إدراك الكثير من الظواهر الكونية، كما يخطئون حين يفترضون أن العقل قادر على إدراك كلّ شيء دون الحاجة لمصادر أخرى، فالعقل وإن كان أداة عظيمة خلقها الله تعالى للبحث والتفكر، إلا أنه محدود بحدود إدراكه، فإذا تجاوزها وقع في الوهم والضلال.

وقد قرّر علماء الإسلام هذه الحقيقة منذ قرون، حيث قال الإمام الشافعي: "إن للعقل حدًّا ينتهي إليه، كما أنّ للبصر حدًّا ينتهي إليه"، وأوضح الإمام الغزالي أن العقل رغم قدراته على الفهم، إلا أنه يحتاج للوحي؛ ليهتدي به، فقال: "ولا تستبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور قد يظهر فيه ما لا يظهر في العقل"[1].

ولم يكن هذا التقرير حصرا على علماء الإسلام، بل حتى المنصفين من الفلاسفة الغربيين لم ينكروا أن للعقل حدا لا يستطيع تجاوزه، ففي مجال العلوم الفيزيائية، نجدهم يعترفون بوجود أسئلة تتجاوز قدرة العقل البشري، فتجده عاجزا عن تقديم إجابة قطعية عنها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: قضية نشأة الكون، أو ما يعرف ب (الانفجار العظيم)، حيث تشير الدراسات الفيزيائية الحديثة إلى أن الكون نشأ عن انفجار عظيم، لكن السؤال الذي يقف عنده العقل البشري عاجزا عن الجواب، هو: ماذا كان قبل الانفجار؟ ويجيب روبين كيرود، فيقول: "هذا سؤال غامض، فلا نعرف هل كان هناك شيء قبل الانفجار، مثل وجود المادة، أو الفضاء، أو الإشعاع، أو قوانين الفيزياء، إنّما ظهر الكون إلى الوجود بعد

(١) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، طبعة: دار القلم، دمشق. بيروت، الطبعة الرابعة عشرةَ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢١، ٢٢.

الانفجار العظيم"[١].

كما أكدّ العالمان دوبر ومولر[٢]على هذا العجز للعقل البشـري، بأن: "معظم العلماء لا يودُّون الإجابة عن التساؤل، ماذا كان قبل الانفجار الرهيب؟ لأنهم لا يعرفون الإجابة"[٣]. ويؤكد فرانكلين هارولد أن: "الفكر المادي الطبيعي قد فشـل في تفسـير، أو فهم الظواهر الثلاث الكليـة، وهي الكون، والحيـاة، والعقـل، ويرى أنـه ينبغي النظر إلى هـذه الظواهر باعتبارها ظواهرَ فوقية"[٤].

ويشـير بول ديفيز[٥] إلى هذا العجز في حديثه عن الكون المبكر، بقوله: "رغم نجاح قصـة

(١) روبين كيرود، الكون (مشاهدات علمية)، ترجمة: شافعي سلامة، إشراف: داليا محمد إبراهيم، مطبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، بتاريخ ١٤٢٨هـ/ ١ يوليو٢٠٠٧م، ص١٢.

(٢) فيليب م. دوبر: ولد فيليب م. دوبر في ٤ سـبتمبر ١٩٤٢م، في نيويورك بالولايات المتحدة، وهو كاتب ومربي أمريكي، عمل مدرسًـا للفيزياء وعلم الفلك في مدرسـة ألاميدا الثانوية تخرج دوبر من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، حيث حصل على بكالوريوس الآداب عام ١٩٦٣م، وماجستير في العلوم عام ١٩٦٤م، ودكتوراه في الفلسفة عام ١٩٦٦م، شغل Dauber منصب مدرس الفيزياء وعلم الفلك في مدرسة Alameda الثانوية، عام ١٩٩٤م، ريتشـارد أ. مولر حاصـل على درجة أ من جامعة كولومبيا، وعلى درجة الدكتوراه في بيركلي، تحت إشراف لويس ألفاريز. كان عضوًا في هيئة التدريس في بيركلي منذ عام ١٩٧٨م. prabook.com/web/philip.dauber

(٣) فيليب م. دوبر، وريتشـارد أ. مولر، الانفجارات الثلاث العظمى، ترجمة: فتح الله الشيخ، وأحمد السماحي، طبعة ونشر: المشروع القومي للترجمة (المجلس الأعلى للثقافة)، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٥٩.

(٤) دكتور/ عمرو شريف، ثم صار المخ عقلا، طبعة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى مصر ٢٠١٢م، ص١٧٢.

(٥) بول ديفيز: هو أسـتاذ للفيزياء النظرية في نيو كاسـل، حصـل على الدكتوراه ١٩٧٠م، شـغل مناصـب أكاديمية في كامبريدج ولندن، ثم هاجر إلى أستراليا عام١٩٩٠م، ليصبح أستاذًا للفيزياء الرياضية في جامعة =

الكون المبكر في تفسير العديد من الحقائق الكونية، إلا أنها تترك الكثير من الحقائق دون تفسير، هناك دائمًا إغراء للتساؤل: ماذا حدث قبل هذا؟"[1]

إن مثل هذه التساؤلات لا تجد إجابة عقلية خالصة، بل تترك هكذا دون حسم تحت شعار العلم لا يعرف كل شيء بعد، فلماذا إذن يطالب الملاحدة بأن يكون الإيمان بالغيب خاضعا لشرط الحسّ المباشر، والتجربة العملية، وإلّا أنكروه، بينما يقرون بحدود العقل في قضايا أخرى؟ وهل يمكن إخضاع العقل نفسه للتجربة الحسية؟ لا شك أنَّ هذا تناقضًا صارخًا ومغالطة منهجية تضع العلم المادي في حرج، وتدفعه للبحث عن تفسيرات أخرى غير مادية، وهو دليل على أمرين، الأول: أنَّ هناك حقائقَ تدرك بالعقل دون الحاجة للتجربة الحسية، والثاني: أنَّ العقل وحده مهما بلغ من القدرة، يظل محتاجا إلى نور الوحي الإلهي؛ ليهديه إلى الحقائق التي تعجز أدواته المحدودة عن إدراكها.

ثانيا: العقل يثبت إمكان وجود الغيب.

يوجد تدليس في منهجية البحث العقلي وحدوده لدى الملحدين فيما يخص قضية الإيمان بالغيب، لذلك أرسى علماء الإسلام قواعد منهجية في إمكان البحث العقلي في العلوم، وأطلقوا العنان للعقل في بحثه للعلوم التجريبية، أما الغيبيات فلا طاقة ولا مجال فيها للبحث العقلي، وهو ما أكد عليه حجة الإسلام الإمام الغزالي بأنّ العلوم الدينية بصفة عامة

أديلايد، وأحدثت جامعته مؤخرًا وظيفة أستاذ الفلسفة الطبيعية خصيصًا من أجله، من أبرز كتبه: الله والفيزياء الحديثة، وعقل الله. أحمد رمو، مقدمة كتاب بول ديفيز، الدقائق الثلاث الأخيرة، ترجمة: أحمد رمم، طبعة: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص٣.

(١) بول ديفيز، الجائزة الكونية الكبرى (لغز ملاءمة الكون للحياة)، ترجمة: محمد فتحي خضر، مراجعة: حسام بيومي محمود، طبعة: كلمات للترجمة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠١٣م، ص٧٤.

تأخذ مباشرة بالسماع، فيقول: "وأما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب للهِ تَعَالَى وَسُنَّة رَسُولِهِ (ﷺ)، وفهم معانيهما بعد السماع، وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض، فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجًا إليها"[١].

بالإضافة لذلك، يمكن للعقل الاستدلال على وجود الغيب من خلال التأمل في الكون ونظامه الدقيق، مما يشير إلى وجود خالق منظم مبدع وراء هذا الكون، ويشير لوجود حقائق لا يمكن للعقل وحده الإحاطة بها دون الوحي.

وبناءً عليه فالعقل لا ينفي الغيب، بل يُقِرُّ بإمكان وجوده، ويثبت حاجته إلى مصدر يفوق قدراته، وهو الوحي الإلهي.

ثالثا: درء التعارض بين العقل والنقل:

لا يوجد تعارض حقيقي بين العقل، والنقل(الوحي)، كما زعم أقطاب الإلحاد في العصر الحديث، من أن "النصوص الدينية تناقض العلوم العقلية، حيث تصطدم نصوص القرآن مع العقل والعلم، فيحدث هذا التناقض الشنيع"[٢]، والسؤال هنا هل العقل كافٍ للوصول لكل الحقائق الممكنة؟ والجواب لا، يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: "إن العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن، بل يحتاج إلى معرفة خواصّ الأدوية، والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء، إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه، ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل، فلا غنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن

(١) أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/ ص١٧.

(٢) تولام سيرف، دليل الملحد، ص٢٧٨.

والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعًا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالأدوية للشخص المريض"[١].

ومن أمثلة الواقع المعاصر على ما ذكره الإمام الغزالي من درء تعارض العقل، والنقل: "منافع الأغذية والأدوية ومضارّها التي لا تفي بها التجربة إلا بعد أدوار وأطوار مع ما فيها من الأخطار"[٢]، كذكر مضارّ أكل لحم الخنزير[٣]، وشرب الخمر[٤]، فقد أثبت العلم الحديث بعد أبحاثٍ وتجاربَ طويلةٍ ضررهما البالغ.

وبناءً عليه فالعقل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسماع، فيجتهد بإمكانياته فيما يستطيع الوصول إليه وتحصيله، ويتوقف فيما يعجز عنه معلنًا عجزه دون كبر وعناد، وبالتالي فالإيمان بالغيب لا يتعارض مع العقل، أو العلم، بل يكملهما، ويسد ما يعجز العقل عن الوصول إليه.

---

(١) أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/ ص١٧.

(٢) سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد (المقصد السادس)، طبعة: مكتبة الإيمان، ص٢٨.

(٣) راجع أضرار أكل لحم الخنزير على الموقع الطبي الإلكتروني:

https://www.webteb.com/multimedia/slideshows/1

تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٢٥م

(٤) راجع أضرار شرب الخمر والكحول على جسم الإنسان على الموقع الطبي الإلكتروني:

https://www.webteb.com/articles/3،

تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٢٥م.

الدعوى الثانية: التفسير المنطقي للغيبيات.

يعرف المنطق بأنه: "آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"[١]، وبالتالي، فهو يقوم بدراسة القواعد والأساليب التي تستخدم لتحليل الأفكار والاستدلالات والبراهين، ويعد المنطق أداة لفهم كيفية التفكير بشكل صحيح وكيفية تقييم الحجج والبراهين.

ومن تطبيقات الملحدين المعاصرين لتفسيرهم المنطقي للغيبيات فيما يخص الجنة والنار والجزاء والاستدلال على بطلانهما بزعم أنه استنتاج منطقي، بما ورد في كتاب دليل الملحد للكاتب تولام سيرف[٢]، حيث يقول في دعواه:

"بعد يوم القيامة تجد هناك من يسكن الجنة، ومن يسكن النار وهما المحطتان الأخيرتان للإنسان، هناك عدة أمور نستطيع استنتاجها من فكرة الجنة و النار، منها:

أولاً: الجنة والنار أمر نهائي، يعني أن الله سيجلس بدون عمل إلى الأبد؛ لأنه قام بتجربته في خلق كائنات لعبادته وانتهى الأمر، وستكون العملية غبية جدا لو قام بتجربة أخرى.

ثانيا: الحكم نهائي إلى الأبد لأصحاب الجنة والنار، أي: لا يمكن قبول توبة أحد من أهل النار،

---

(١) تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين محمد ابن محمد الرازي في شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين علي الكاتبي القزويني وعليه حاشية السيد شريف الجرجاني، تصحيح: محسن بيدارفر، طبعة: شريريعت، قم، الطبعة الثانية، ص٥٢.

(٢) يُعد كتاب دليل الملحد من أبرز الكتب الإلحادية وأكثرها انتشارًا على مواقع الإنترنت، وكاتب هذا الكتاب (تولام سيرف) اسم حركي لشخص غير معروف، حيث بذلت جهدًا في البحث عن هذه الشخصية ولم أصل لأي معلومة عن الكاتب، والكتاب بصيغة الكترونية خالي من بيانات دار نشر أو سنة طباعة أو حتى رقم إيداع، وهذا الكتاب يضم بين طياته مجموعة من الشبهات كفيلة بإخراج الإنسان الغير متحصن من دائرة الإيمان؛ لذا أوجه نظر الباحثين بجامعتنا العريقة إلى رد شبهات الكاتب وبيان تهافت دعواه.

أو معاقبة أحد من أهل الجنة، وهذا أسلوب غبي، ويدل على عدم وجود صفة الرحمة عند هذا الخالق.

ثالثا: قيمة التوبة من أصحاب النار أثناء حرقهم، في رأيي، هي نفس قيمة شرب الخمر في الجنة بالنسبة للمسلم.... كيف؟

الخمر أمر حرام في الدنيا، أي: أنه عمل طالح كبقية أنواع الحرام الأخرى، فهذا يعني أنك تستطيع أن تقوم بأعمال أخرى حرام أيضا في الجنة، مثلا الكفر و شتم الخالق بسبب المجاعة في إفريقيا، التوبة عمل صالح ومن علاماتها مثلا الصلاة، أي: حتى لو بدأت الصلاة بتوبة لا مثيل لها فهي غير مقبولة، والاثنان، أي: التوبة أثناء حرق نار جهنم و عمل الحرام في الجنة لا قيمة لهما عند الله بعد يوم القيامة، وهذا ما يجعل من قيمة الخالق تصل إلى العدم؛ لأنه لو سمح بعمل الحرام كالخمر الذي هو رجس من عمل الشيطان، فسيكون غير منصف ولا قيمة له، واذا لم يسمح به فهذا يعني أنه هناك يوم قيامة وحساب جديد، الكتابة عن الأمور اللا منطقية في الأديان كثيرة جدا، وما ذكرته ما هو الا جزءٌ بسيطٌ جدا"[1].

المناقشة:

من الواضح أن المدعو تولام سرف انطلق في دعواه السالفة من فكرة تفسيره لأفعال الله ﷻ الخالق، ولما كان الله ﷻ الخالق متصفًا بالقدرة التامة التي تشمل جميع الممكنات، فالعقل يقرّر أنه يفعل بمقتضى إرادته وقدرته، فهو الخالق لهذا الكون العظيم، والذي يقف العقل البشري عاجزا عن تفسير بعض مظاهر الكون المخلوقة، فكيف له يفسر أفعال خالقه جل علاه؟! وبتحليل الدعوة الإلحادية السالفة من الجهة الكلامية، يتبين لنا الآتي:

---

(١) تولام سيرف، دليل الملحد، نسخة إلكترونية، موجودة على الرابط https://ahewar.org/rate/bindex.asp?yid=3640، ص١٤٢، ١٤٣.

أولاً: ارتباط الدعوى بمسألة التحسين والتقبيح العقليين

قرر علماء أهل السنة والجماعة من الأشاعرة، أن العقل لا يستطيع أن يحكم على أفعال الله تعالى بالحسن ولا بالقبح، والدعوة السالفة تقرر أنه بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يجلس الخالق بدون عمل، وهو أمر قبيح من وجهة نظرهم، كما أن شرب الخمر في الجنة لا يعاقب عليه الإله، والتوبة لأهل النار لا يثاب عليها وهو أمر قبيح، وهذا القبح الذي تم تفسيره عقليا من قبل هؤلاء لا يمكن أن نسقطه على أفعال الخالق جل علاه، يقول الإمام الجويني: "العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع، وموجب السمع"[1]، وبناءً عليه فقد قاس الملحد تولام سرف فعل الله تعالى، وانشغاله، وفراغه، وعدم جزائه أو معاقبته على الأفعال الإنسانية، وهو قياس قائم على الشك، وهذا القياس غير صالح في العقائد الإلهية، وسوف أوضح تفاصيل هذا القياس في النقطة الآتية.

ثانيا: قياس الغائب على الشاهد.

إن الله ﷻ واجب الوجود، بينما باقي المخلوقات ممكنة الوجود، ولكل منهما صفاته الخاصة التي لا يمكن القياس عليها بنفس المقياس، وهذا ما يقرره العقل على سبيل المغايرة، فالواجب غير الممكن، يقول إمام الحرمين الجويني: "من قال يُقضى على الغائب بحكم الشاهد بغير جامعٍ، لزمه أن يحكم بكون الباري تعالى جسما محدودا، من حيث لم يشاهد فعلا إلا كذلك، ويلزم منه القضاء بتعاقب الحوادث إلى غير أول، من حيث لم

(١) إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق: الدكتور علي سامي النشار وآخرون، طبعة: منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩م، ص٢٥٨.

يشاهدها إلا متعاقبة إلى غير ذلك من الجهالات"[1]، وبناءً عليه فلا يوجد أيٌّ أمر جامع بين الواجب الذي له طلاقة القدرة الإلهية -الخالق ﷻ- في فعله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، والممكن-المخلوق- في فعله، فلا علة متلازمة بينهما، ولا شرطَ يجمعهما ولا حقيقة مضطردة ولا دليل يجمع بين أفعالهما، ومن هنا فالنتيجة التي توصل إليها الملحد تولام سيرف عبثية تفتقد للعقل، والمنطق، لكونها تقوم على مقدمات فاسدة.

ثالثا: الدليل النقلي.

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تقرر عجز العقل البشري عن الإحاطة وتفسير أفعاله ﷻ، منها قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[3].

يقول ابن عجيبة في وجه استدلاله بالآية الكريمة: "لا يمكن لأحد من مخلوقاته أن يناقشه، أو يسأله عما يفعل هيبةً وإجلالًا"[4]، وقد أرجع الإمام فخر الدين الرازي هذه الشبهة المتعلقة بالغيب وأفعاله ﷻ إلى مفهوم اللمية التي ذكرها الثنوية والمجوس قديما، فكانوا يتساءلون: لمّ يفعل الله كذا ويترك كذا؟ يقول الإمام الرازي: "وجه تعلق هذه الآية بما قبلها أن عمدة من أثبت لله شريكا ليست إلا طلب اللمية في أفعال الله تعالى، وذلك لأن الثنوية والمجوس وهم الذين أثبتوا الشريك لله تعالى، قالوا: رأينا في العالم خيرا، وشرا،

(١) إمام الحرمين الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، طبعة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٢٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٤) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج٣/ ص٤٥٣.

ولذة، وألما، وحياة، وموتا، وصحة، وسقما، وغنى، وفقرا، وفاعل الخير خير، وفاعل الشر شرير، ويستحيل أن يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا معا، فلا بد من فاعلين ليكون أحدهما فاعلا للخير، والآخر فاعلا للشر، ويرجع حاصل هذه الشبهة إلى أن مدبر العالم لو كان واحدا لما خص هذا بالحياة والصحة والغنى، وخص ذلك بالموت، والألم، والفقر، فيرجع حاصله إلى طلب اللمية في أفعال الله تعالى"[١].

وبناءً عليه فإنَّ دعوى الملحد تولام سيرف المتعلقة بالغيب تُعَدُّ تجديدًا لشبهات المشركين من الثنوية والمجوس الذين يقسمون أفعال الله تعالى إلى أفعال خير، وأفعال شر، ولا تستوعب عقولهم الحكمة في أفعال الله، فلفظ (لمّ)، لا يمكن أن نسأل به عن أفعال الله تعالى، فالله ﷻ أفعالُه غير معلَّلة.

الدعوى الثالثة: موقف ريتشارد دوكينز من الإيمان بالغيب:

من أبرز رواد الفكر الإلحادي المعاصر، ريتشارد دوكينز، حيث يتبنّى دعاوى إلحادية عدائية متطرِّفة، تقوم على إنكار الإله، وكلّ ما وراء المادة، مستخدما أسلوب الاستهزاء والسخرية كبديل عن الأدلة العقلية التي تدعم موقفه.

يقول ريتشارد دوكينز: "أنا لا أوْمِن بعجوز ذو لحية بيضاء يسكن في السماء، هذا العجوز ليس أكثر من تشتيت لعقل المستمع، ولحيته مضجرة وليست بيضاء طويلة فقط...، أنا لا أهاجم نوعا معينا من الآلهة، أنا أهاجم الله، كل الآلهة، أي نوع من الآلهة، كل ما هو خارق وما ورائي، أينما وحيثما وجد أو سيوجد"[٢].

(١) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢/ ص١٣١.

(٢) ريتشارد دوكينز، وهم الإله، ص٣٨.

المناقشة: هذه الدعوى تقوم على مغالطات منطقية، وأخطاء فلسفية، من أبرزها:

١- مغالطة الوهم والتخيل:

يبدأ دوكينز باختلاق تصور خيالي مشوّه عن فكرة الإله، إذ يصفه ب: "عجوز ذو لحية بيضاء يسكن في السماء"، **والسؤال هنا**: هل هذا التصور يُمتّ إلى التصورات الفلسفية، أو الدينية الصحيحة عن الإله؟ بالطبع ليس له أي أساس من الصحة، بل هو محض تشويه متعمد حول واجب الوجود الذي لا يوصف بكونه مجسما، ولا في إطار زمان، ومكان محدودين.

وهل استخدام أسلوب العاطفة والسخرية دليلا منطقيا في حد ذاته؟ أين حجتك المنطقية على ما تقول؟

الحقيقة لا أجد هذا الوصف في أيٍّ فلسفة من الفلسفات العقلية، أو الديانات التوحيدية بهذه الصورة البدائية التي يقدمها دوكينز، إنها صورة ساذجة لتشويه الإله مستمدة من الأساطير الشعبية، ولا تعتمد على أية أدلة عقلية عن تصور الله واجب الوجود المعبود بحق.

٢- التناقض في مهاجمة شيء يَفترض أنه غير موجود:

يدّعي دوكينز بأنه: "لا يهاجم نوعا معينا من الآلهة، بل يهاجم الله، وكلّ الآلهة، أي نوع من الآلهة، كل ما هو خارق.."

هنا يتجلى تناقض منطقي واضح؛ إذ كيف يمكن لشخص أن يهاجم فكرة يعتقد ويؤمن أنها غير موجودة أصلا؟ وهي مغالطة مشهورة لدى الملحدين تتمثل في "إدخال قضية كاذبة في الدليل، وسبب تمويهها يرجع إلى تحكيم الوهم في غير المحسوسات"[١]، إذ

(١) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، طبعة: دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣١٢.

يتم تقديم فرضية غير مثبتة كمدخل للحجج، مما يؤدي إلى استنتاجات خاطئة.

ومن الغريب أنّ الصورة المتخيلة للإله عند دوكينز أنه (عجوز ذو لحية بيضاء)، لماذا لا يكون شابًّا يافعًا قويًا؟ لماذا لا يكون بدون لحية؟ بل لماذا لا تكون لحيته سمراء؟

أسئلة كثيرة تطرح نفسها على هذا التصور الساذج، والجواب بسيط جدًا، يكمن في الآلة الإعلامية الغربية التي تصور المسلم على أنه إرهابي ذو لحية بيضاء وجلباب أبيض، فنقل هذا التخييل العبثي الذي لا يستند إلى منطق أو دليل، وبدأ هجومه على فكرة الألوهية برمتها، لا شكّ إنه موقف عدائي شخصي أكثر من كونه فلسفيا وموضوعيا.

٣- مغالطة حصر المعرفة في الحس والتجربة:

يفترض دوكينز أنّ كل ما هو "ماورائي" غير موجود؛ لأنه لا يخضع للحسّ والتجربة، وهذه مغالطة، حيث يحصر مصادر المعرفة في المنهج التجريبي فقط.

وهنا يتبادر إلى الأذهان تساؤل مفاده: هل كل الحقائق العقلية تخضع للتجربة الحسية؟ وإذا لم تكن تخضع للتجربة، فهل معنى ذلك أنها غير موجودة؟ ماذا إذن عن الرياضيات والمفاهيم الأخلاقية والمعنوية، هناك العديد من الحقائق العقلية البديهية لا يمكن إثباتها تجريبيا، ومع ذلك فهي يقينية كالمبادئ الرياضية والمنطقية (١+١=٢)، ومن هنا يقرِّرُ أصحاب مناهج البحث أنّ القانون الرياضي هو: "قانون عقلي يُعبّر عن عَلاقة مُجردة يستنبطها العقل من خواص الأعداد، أو السطوح، أو الأشكال التي يبتكرها"[١]، ومن ثمّ فالقانون الرياضي مستنبط من العقل دون حصر لمعرفة حسية، أو تجريبية.

بالإضافة إلى ذلك القيم الأخلاقية كالعدل، والصدق، والكرامة، هل يمكن أن نختبرهم في مختبر؟ والمشاعر كالحب والكره، ووجود العقل، كيف نثبت كلَّ ذلك يقينا؟

(١) د.محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ص٢٢٣.

وبالتالي فإنّ دعواه بأن الإله غير موجود، واستبعاده لما وراء الطبيعة بحجة كونه لا يخضع لأدوات العلم التجريبي؛ لأنه المصدر الوحيد للمعرفة هو جهل، لاستبعاده مسبقا أيَّ نوعٍ آخرَ من المعارف غير العلمية، وهو افتراض غير مبرهن عليه.

٤- مغالطة المصادرة على المطلوب:

المصادرة على المطلوب هي: "جعل نتيجة الدليل نفس مقدمة من مقدمتيه، مع تغيير في اللفظ يوهم فيه المستدل التغاير بينهما في المعنى، فالغرض من المصادرة إيهام المستدل خصمه مغايرة النتيجة للمقدمة، لذلك فهي وظيفة ممنوعة غير مقبولة في الاستدلال، وللخصم دفع الدليل بعلة المصادرة فيه، وطالب الحق لا يتعمدها؛ لما فيها من التلبيس والإيهام"[١].

يقول دوكينز: "أنا لا أومن بالله، وكل ما هو خارق وما ورائي غير موجود..."، وبهذا افترض دوكينز مقدما عدم وجود الإله، ثم يبنى استنتاجه على أساس ذلك الافتراض، بعدم وجوده، بدلا من أن يقدّم دليلا عقليا مستقلا على عدم وجود الإله، أي أنه يجعل النتيجة جزءا من مقدمته، ثم يقرِّر عدم الإيمان، وعدم وجود إله، وقام بنفية، كأنّه حقيقة مسلّم بها مسبقا.

ويبدو أن دوكينز وضع استنتاجه الذي يريد أن يثبته "أنا لا أومن..."كجزء من مقدمة مسلم بها، بدلا من إثباتها منطقيا، وهذا ليس منطقيا؛ لأنَّ الحجة العقلية تتطلب تحليل وجود إله بناء على أدلة، وليس رفض الفكرة من الأساس بناء على موقف شخصي، أنت يجب أولاً أن تثبت عدم وجود إله بدلا من اتخاذ موقف الرفض القاطع.

(١) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص٤٥١.

الدَّعْوى الثالثة: موقف سام هارس من الغيب[١]

سام هارس، كغيره من الملاحدة المعاصرين، يتعمّد التلاعب بالمفاهيم والخلط بينها؛ لتشويه صورة الإيمان بالغيب؛ لذا تقوم دعواه على افتراض متشدَّد ضد الإسلام، حيث يبالغ في نقد الإيمان بالغيب، ويدَّعي أنَّ كل تصديق به سيؤدي حتما للعنف والتطرف، باعتباره السبب الرئيس لكليهما، كما يرى أنَّ الإيمان المطلق بنصوص القرآن الكريم، لاسيما تلك التي تشير للجزاء الأخروي، تُعَدُّ سببا رئيسيا لسلوكيات تصل إلى حد القتل غير المبرّر، وتؤدي حتما للعنف والتطرف.

يقول سام هارس: "إن مشكلتنا هي مع الإسلام نفسه، وليس مجرد مع "الإرهاب" نحتاج أن نسأل أنفسنا، لماذا الإرهابيون المسلمون يفعلون ما يفعلونه... إنهم يعتقدون فعلًا بما يقولون، إنهم يعتقدون أنهم يؤمنون بالحقيقة الحرفية للقرآن، لماذا قام تسعة عشر شخصًا مثقفًا من الطبقة الوسطى في التجارة بحياتهم لنيل شرف قتل الآلاف من جيرانهم؟ لأنهم يؤمنون أنهم سوف يذهبون مباشرة إلى الجنةّ؛ لقيامهم بذلك، فمن النادر أن نجد

(١) سام هاريس: مواليد ٩ أبريل عالم أعصاب أمريكي، وهو أحد المنتقدين المعاصرين للأديان، كما يُعتبر أحد أهم مؤيدي الشكوكية العلمية وحركة الإلحاد الجديد، يتميّز بدفاعه القوي عن العلمانية، وحرية الاعتقاد وحرية انتقاد الأديان، مؤلف كتاب «نهاية الإيمان» وكتاب «رسالة إلى أمة مسيحية» ردّا على انتقادات لكتاب «نهاية الإيمان»، تَبِع هذا العمل كتابه «المشهد الأخلاقي»، الذي صدر سنة ٢٠١٠م، ليتبعه بمقاله من الطراز الطويل «أنْ تكذب» سنة ٢٠١٢م، لتتم سلسلة مؤلفاته مع كتاب «الاستيقاظ: دليل إلى الروحانية الخالية من التدين».

راجع ترجمة سام هارس على مدونته الشخصية على الرابط:

https://web.archive.org/web/20120301060943/http://www.samharris.org/site/full_text/the‹mora l‹landscape‹q‹a‹with‹sam‹harris/

سلوك بشر يشرح ذلك بشكل كامل وبصورة مرضية، لماذا كنا متردّدين في قبول هذا التفسير؟"[١].

المناقشة:

أولاً: التلاعب بالمصطلحات والخلط بين الإرهاب والجهاد:

يتعمَّد سام هارس تشويه مفهوم الغيب المتمثّل في الجنة، عبر ربط المفهوم الشاذّ للإرهاب بمصطلح الجهاد الإسلامي الذي جزاؤه الجنة، بحيث يستنتج منهما فكرة أن الجزاء الأخروي-الجنة والنار- يستخدم كحافز للعنف، وبتتبع سائر شبهاته في كتابه نهاية الإيمان يبدو جليا اتباعه لمنهج الإلحاد المعاصر، من خلال: "التلاعب في معاني النصوص؛ لإبطال حق-الجنة- أو إحقاق باطل- إنكار الغيب-، مع التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام، وإطلاقها على أنها مفاهيم إسلامية مُسلَّم بها عند المسلمين، مثل فكرة الجهاد الداعشي، والإسلام منها بريء براءة الحق من الباطل"[٢].

والسؤال هنا: هل يمكن محاسبة الإسلام على سوء فهم مصطلح الجهاد، أو الشهادة؟ أم محاسبة من يسيئون تفسيره تفسيرا خاطئا، **والجواب**: أن الإسلام يرفض الإرهاب، بل ويدعو للسلام، وأن القتال إنما ينحصر في الدفاع عن النفسَ، وردّ العدوان، وحماية الدعوة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣]، إذ من الخطر أن يفهم الجهاد على غير مقصوده الذي وضع له، ويستباح باسمه الإسلام والمسلمون وهم منه براء، فيتهمون بالعنف، والتطرُّف، والإرهاب،

(١) سام هارس، نهاية الإيمان، ترجمة: محمد سام العراقي، كتاب إلكتروني، طبعة: ٢٠٠٥م، ص٢٥، ٢٦.

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، ص٣١٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٣.

فلا توجد آية واحدة في القرآن الكريم تحمل الإنسان على القتال، وليس لأحد أن يفتري على الإسلام، أو يسيء فهم آيات القرآن؛ لتحقيق أهدافه.

وكان من الأفضل لسام هارس وأمثاله من الملحدين أن يقرؤا القرآن الكريم ويتدبروا ما فيه من معانٍ حول مفهوم الجهاد، وحرمة الاعتداء على النفس الإنسانية، وأن يبتعدوا عن التدليس المتعمّد في المفاهيم والمصطلحات، حيث إنَّ العلاقة منفكة بين الإرهاب والجنة؛ لأنَّ هذا الربط لا يوجد عليه دليل.

ثانيًا: الإيمان بالغيب ليس دافعا للإرهاب:

يزعم سام هارس أن الإيمان بالغيب يدفع المسلمين للقيام بأعمال إرهابية بغرض ضمان دخولهم الجنة، ومن ثم تصبح الجنة دافعا للعنف والإرهاب، وليست مجرد معتقد إيماني، وهذا استدلال باطل؛ لأنَّ العقوبة أو الثواب في الآخرة شأن إلهي لا بشري، ولا يتعارض مع مبدأ الرحمة والعدل، كما أنه لا يوجد نصٌّ قرآني يأمر المسلمين بالاعتداء على الآخر بدون وجه حقّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[1].

وبناء على المنطق الذي يستخدمه سام هارس يمكن اتّهام أيِّ عقيدة تؤمن بالجزاء الأخروي بأنها تحُضُّ على العنف والإرهاب، بما في ذلك المسيحية واليهودية، وهذا أمر غير منطقي.

فليس كل من يؤمن بالجنة إرهابيا، جميع المسلمين يؤمنون بالجنة، لكنهم ليسوا إرهابيين، ولا يقومون بأعمال إجرامية، ولا يوجد نصّ واحد إسلامي يحرِّض على قتل أبرياء للوصول للجنة كما يدعي، بل على العكس تماما قتل النفس بغير حق من أعظم

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

الكبائر، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1].

وبناءً عليه فالزعم بأن المسلمين يقتلون من أجل الجنة، ويستخدمون الجزاء الأخروي كحافز للعنف، تشويه متعمَّد لصورة الإسلام أمام العالم الغربي.

المطلب الثاني: تحديات النزعة العقلانية المفرطة وتطبيقاتها.

أولاً- مفهوم النزعة العقلانية:

تقوم النزعة العقلانية المفرطة على الاعتماد الكامل على العقل والمنطق في فهم العالم، وتعرف بأنها: "الاتجاهات التي تقدم العقل على النقل، وتجعل العقل مصدرا من مصادر الدين، ومحكما في النصوص"[2].

ويلاحظ تمايز بين مصطلح (العقلاني) و (العقلي)، فالعقلاني يشير إلى من يعتمد على العقل وحده في فهم الأمور، وغالبا ما ينكر كل ما هو غيبي طالما لا يدرك بالحس ولا يثبت بالتجربة كالمسائل الغيبية، أما العقلي فهو مصطلح كان سائدا في العصور القديمة بين المعتزلة والفلاسفة الإلهيين، حيث إنّ" مصطلح العقلانية من المصطلحات الحديثة في الحقل الفكري والفلسفي المعاصر، إذ كان المصطلح السائد قبل ذلك هو المصطلحَ العقليَّ، فيطلق الاتجاه العقلي ويراد به تارة المعتزلة الذين اشتهروا بالمنهج العقلي في إثبات

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) ناصر عبد الكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، طبعة: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٧.

العقائد، وتارة أخرى يطلق على الفلاسفة الإلهيين"[١]، وهم رغم اعتمادهم على المنهج العقلي في إثبات العقائد، إلا أنهم كانوا يؤمنون بالأمور الغيبية؛ لأنها من أركان العقيدة الإسلامية، أما العقلانية المعاصرة فبرغم أنهم يدّعون استخدام العقل والدفاع عن المنهج العقلي في المعرفة إلا أنهم لا يقرّرون الخوض فيما يتعلق بالوحي وما جاء به من أمور غيبية.

وقد عرفت العقلانية في الفكر الغربي المعاصر أنها: "مذهب يشدد ويقر بأنه لا يمكن الوثوق إلا بما يقدمه العقل، ومن ثم فإن كلَّ المعارف والمواضيع والمذاهب الدينية لا يمكن الاعتراف بها، إلا إذا كانت معقلنة أي يعترف بها العقل، وأنها منطقية وتتماشى وفق النور الطبيعي"[٢].

كما عرفت العقلانية في الفكر العربي بأنها: "طائفة من أهل العلم جمعت بين العقلانية واللاعقلانية فيما كتبوه في مؤلفاتهم عن الدين والتراث والعقل والعلم...، ولم يكونوا علميين ولا عقلانيين ولا موضوعيين ولا ملتزمين بالمنهج العلمي الصحيح، وإنما اعتمدوا على كثير من التغليط، والتحريف، والتدليس، والتأويل الفاسد للنصوص"[٣].

وبالتالي، يمكن تمييز مصطلح العقلانية من جانبين:

الجانب الأول: العقلانية المنهجية، يعرف صاحبها بأنه "الذي يحتكم إلى العقل، ويلتزم به،

(١) ينظر دكتور/ عبد الستار عز الدين الراوي، ثورة العقل دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد، طبعة: دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص٥:٧.

(٢) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، طبعة: منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص١١٧٢.

(٣) د. خالد كبير علال، وقفات مع أدعياء العقلانية (حول الدين والعقل والتراث والعلم)، طبعة: دار المحتسب ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ص ٨،٩.

ويأخذ بموجباته في كل أحواله، ومن لا يلتزم بكل ذلك فليس عقلانيا، وعليه فالعقلانية: ممارسة فكرية تحتكم للعقل، وتلتزم بأحكامه"، وبهذا يتبين أن أصحاب هذا الاتجاه يتمسكون بالعقل وما يقرره فقط دون حاجة وراء ذلك، وبالتالي فالأمور الغيبية المتعلقة بوجود الله واليوم الآخر وما فيه من حساب، وجنة، ونار مستبعدة من منهجيات بحثهم.

الجانب الثاني: العقلانية العقدية المذهبية وهي: "التي تقوم على العقائد والمذاهب التي يعتقدها البشر، وهذا يعني أنَّ هذا النوع من العقلانية ليس عقلانية واحدة، وإنما يتضمّن عقلانيات كثيرة ومتنوعة حسب تعدّد الأديان، والمذاهب، والاتجاهات الفكرية"[1].

ثانيا: منهج الاتجاه العقلاني:

اتّضح فيما سبق منهج التفكير الإلحادي وسببه النفسي، ويظهر من خلال ذلك أنَّ أصحاب الاتجاه العقلاني المفرط يتقاربون مع أصحاب الأفكار الإلحادية من جهة منهج، وألية التفكير، وأسبابه النفسية[2]، فكلاهما ينكر الغيب، فإذا كان أصحاب هذا الاتجاه يتمسّكون بالعقل، والمنطق حسب ادَّعائهم، فلِم يُنكرون العلاقة السببية والعلية في تفسير الظواهر الطبيعية؟ بل ويرجعونها إلى المصادفة وغيرها من التفسيرات التي لا يقبلها عقلٌ، ولا يسلّم بها منطق، وهذا نمط من التفكير وصفه علماء النفس بأنه تفكير خرافي بعيدٌ عن الموضوعية.

يقول الدكتور عبد الرحمن عيسوي: "إن التفكير الخرافي يختلف عن التفكير العلمي، أو المنطقي؛ وذلك لأنه لا يقوم على أساس إدراك علاقة العلية، أو السببية العلمية، وإن كان يقوم على أساس علية أخرى غير العلية العلمية، فالتفكير الخرافي يُرْجِعُ الظواهرَ الطبيعية

(١) ينظر د. خالد كبير علال، وقفات مع أدعياء العقلانية (حول الدين والعقل والتراث والعلم)، ص٦.

(٢) ينظر/ ريتشارد دوكينز، ألية التفكير اللامادي في الغيبيات، وهم الإله، ص٤٤.

إلى أسباب غير طبيعية"[١].

وعليه فإنَّ منكر الغيبيات بدواعي عدم خضــوعها للعقل، أو للمنطق تفكيره غير دقيق علميا، حيث توجد غيبيات كثيرة لا يستطيع العقل إدراكها، ولا تخضع للمنطق، ولا يمكن إنكارها مثل حقيقة الروح، والتي دل عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْــأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢].

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة أن: "الروح سبب الحياة فهي شيء تتوفر دواعي العقلاء على معرفته"[٣]، وإذا كانت الروح حقيقة لا يستطيع ملحد أو عقلاني إنكار وجودها، وهي غيب، فلا تخضع لعقل، أو منطق، أو تجربة، أفلا يكون الإيمان بالله ﷻ الذي أوجدها وأودعها في الإنسان أولى بالتصديق والاعتراف، ومن هنا ذهب ابن عجيبة رحمه الله إلى إمكانية الاستدلال العقلي على وجود الباري ﷻ بطريقة عقلية لا تقبل الشك من خلال الروح الإنسانية، حيث قرّر ما نصــه: "أن الله ســبحانه، وضــع هذه الروح في هذه الجثة الجثمانية، لطيفة لاهوتية، في كثيفة ناسوتية، دالة على وحدانيته تعالى وربانيته، وقد استدل على ذلك بعشرة أوجه عقلية: **الأول**[٤]: أنّ هذا الهيكل الإنســاني لَمَّا كان مفتقرًا إلى محرك ومدبّر، وهذه الروح هي التي

(١) د. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، طبعة: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٣م، ص٢٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٣) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١/ ص٣٩٤.

(٤) وهذا دليل يمكن تطبيقه على دليل الحركة عند الفلاســفة، حيث إنَّ كل متحرك يحتاج إلى محرك يحركه، والعالم يتحرك، إذن العالم يحتاج إلى محرك وهو الخالق ﷻ، ويقوم هذا الدليل على قاعدة =

تدبره وتحركه، علمنا أن هذا العالم لا بد له من محرّك ومدبر.

الثاني: لَمَّا كان مدبر الجسد واحدًا، علمنا أنَّ مدبر هذا العالم واحدٌ لا شريك له في تدبيره وتقديره، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾[1].

الثالث: لَمَّا كان لا يتحرّك هذا الجسم إلا بتحريك الروح وإرادته، علمنا أنه لا يتحرك بخير، أو شرٍّ إلا بتحريك الله وقدرته وإرادته[2].

الرابع: لَمَّا كان لا يتحرّك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعورها، لا يخفى على الروح

الاحتياجْ أو أساس فكرة الإمكان الفلسفي. راجع دليل الإمكان، عضد الدين الإيجي بشرح السيد شريف الجرجاني، المواقف، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج٨/ ص٧، والإمام فخر الدين الرازي، المطالب العالية في العلم الإلهي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، طبعة: دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج١/ ص٢١٢

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢. وفي الآية الكريمة دلالة عقلية على عدم وجود شريك لرب البرية في خلقه، أي لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لخربتا، وهلك من فيهما، ذاك أنه لو كان فيهما إلهان فإما أن يختلفا أو يتفقا في التصرف في الكون، والأول ظاهر البطلان؛ لأنه إما أن ينفذ مرادهما معا، فيريد أحدهما الإيجاد والثاني لا يريده، فيثبت الوجود والعدم لشيء اختلفا فيه، وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزا، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضا؛ لأنهما إذا أوجداه معا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد. الشيخ أحمد المراغي، تفسر المراغي، طبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ج١٧/ ص١٩.

(٢) وهذا دليل على عموم قدرة الله تعالى وإرادته، فهو القادر المؤثر الذي لا يمتنع عليه التأثير. ينظر: فخر الدين الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول، تحقيق: الدكتور سعيد فودة، طبعة: دار الذخائر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ج١/ ص٤٤٣.

من حركة الجسد شيء، علمنا أنه تعالى لا يعزُب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء[١].

الخامس: لَمَّا كان هذا الجسدُ لم يكن فيه شيءٌ أقربُ إلى الروح من شيء، علمنا أنه تعالى قريب إلى كل شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد إليه من شيء، لا بمعنى قرب المسافة؛ لأنه منَّزه عن ذلك[٢].

السادس: لَمَّا كانت الروح موجودة قبل الجسد، وتكون موجودة بعد عدمه، علمنا أنه تعالى موجود قبل خلقه، ويكون موجودًا بعد عدمهم، ما زال، ولا يزال، وتقدس عن الزوال[٣].

السابع: لَمَّا كانت الروح في الجسد لا تعرف لها كيفية، علمنا أنه تعالى مقدَّس عن الكيفية[٤].

الثامن: لَمَّا كانت الروح في الجسد لا تعرف لها كيفية، ولا أينية، بل الروح موجودة في سائر الجسد، ما خلا منها شيء في الجسد، كذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان، وتنزه عن المكان والزمان[٥].

---

(١) وهذا دليل على علم الله ﷻ بالكليات والجزئيات، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. سورة سبأ: الآية ٣.

(٢) وهو دليل عقلي على قرب الله ﷻ من العبد، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٣) وهو دلالة عقلية على أزلية وأبدية الخالق ﷻ، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ سورة الحديد الآية ٣.

(٤) وهو دليل على نفي الكيفية عن ذاته ﷻ، وفيه دلالة عقلية؛ فإذا كانت الروح وهي مخلوقة لم نستطع الوقوف على كيفية ذاتها فكيف بالباري ﷻ؟!

(٥) وهو دلالة عقلية على نفي الزمان، والمكان بالنسبة للباري ﷻ.

التاسع: لَمَّا كانت الروح في الجسد لا تحسّ، ولا تجسّ، ولا تمسّ، علمنا أنه تعالى منزه عن الحس، والجس، والمس(١).

العاشر: لَمَّا كانت الروح في الجسد لا تدرك بالبصر، ولا تمثل بالصور، علمنا أنه تعالى لا تُدركه الأبصارُ، ولا يمثل بالصور والآثار(٢)، ولا يشبه بالشموس والأقمار"(٣).

وبناءً عليه يتبين أنَّ علماء الإسلام قد سلكوا منهجا عقلانيا منطقيا متّزنا، مقارنة بأصحاب الاتجاه الإلحادي والعقلاني المفرط، حيث ربط ابن عجيبة الروح الإنسانية وهي غيب لا يمكن إنكاره بوجود الباري سُبحانه، وصفاته العليا، فاستدل بالغيب- الروح- على الغيب المطلق- الله ﷻ – من خلال مقدمات منطقية لا يمكن التشكيك في صحتها، فإذا كانت الروح هي محرك البدن، ومدبره (وهي حقيقة لا ينكرها ملحد ولا عقلاني، فلماذا ينكر الملحد والعقلاني أنَّ هذا العالم الكبير لابد له من محرك ومدبر مثل الروح وهي مدبرة العالم الصغير)، وقد صيغت هذه الفكرة في أبيات شعرية نسبت للإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ، تدعو للفكر والتأمل:

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ ... وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُر

وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَفيكَ انطَوى العالَمُ الأَكبَر

فهذا القياس العقلي دلالة واضحة على وجود الخالق جَل علاه، وإثبات صفة

(١) وهو دلالة عقلية على تنزيه الباري ﷻ عن الحسّ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الشورى الآية١١.

(٢) وفيه دلالة عقلية على عدم إدراك الأبصار والعقول له سبحانه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام الآية: ١٠٣.

(٣) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج٣/ ص٢٢٩.

الوحدانية، فكما يستحيل أن يكون للإنسان أكثرُ من روح، يستحيل أن يكون لهذا العالم الكبير أكثرُ من إله، إله عالم بكل شيء في كونه قادرًا على تحريك أي شيء فيه وتدبيره، كما أن الروح تعلم أحوال البدن وتدبر كل أمر فيه بدقة.

وقد نبه العلماء لعجز العقل البشري في بحثه عن إدراك كنه الروح، فقال أحدهم:

ولا تخض في الروح إذا ما وردا ... نص عن الشارع لكن وجدا

لمالكٍ هي صورة كالجسدِ ... فحسبك النصُّ بهذا السندِ

والعقلُ كالروح ولكن قرْروا ... فيه خلافًا فانظرَنْ ما فسَّروا.[١]

ومن هنا ألزم ابن عجيبة أصحاب الاتجاه العقلاني المفرط الذين ينكرون الغيب[٢]، انطلاقا من تقديس العقل الذي يؤمن به، إذ إنَّ العقل نفسه يؤمن بهذا الغيب، و"لكل معلول علة، ولكل سبب نتيجة، ولكنها تتصل بنظرة عامة وشاملة للكون بأسره على أنه سلسلة من العلل والمعلولات، والبرهان الوحيد على صحة فكرة العلية هو الاقتران والتلازم في الزمان والمكان بين العلة والمعلول، ولا يمكن أن تتوقف تتابع الأحداث، ولا يمكن أيضا أن يكون هذا الاقتران من قبيل الصدفة"[٣].

(١) الشيخ/ برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني، مجموع المتون المحصي لكثير من الفنون (متن الجوهرة، طبعة: الطوخي بالقاهرة ١٢٨٥هـ، ص٢٥. ومجموع مهمات المتون المشتملة على ستة وستين متنًّا في مختلف الفنون والعلوم، طبعة: الحلبي الرابعة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ص١٦.

(٢) وعليه أوجه نظر الباحثين في مجال العقيدة والفلسفة للعناية بدراسة هذا الموضوع، وليكن على سبيل المثال (دلالة الغيبيات على وجود الباري (ﷻ) أو (الاستدلال بالروح الإنسانية على وجود رب البرية)

(٣) د. عبدالرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العملي، ص٢٦،٢٧.

ب- تطبيقات الاتجاه العقلاني المعاصر على قضايا الإيمان بالغيب ومناقشتها :

لقد اعتمد أصحاب الاتجاه العقلاني المعاصر على تأويل النصّ الديني بما يوافق تصوراتهم العقلية، حتى وإن خالفت دلالة النصوص وأصول الاعتقاد، فزعموا أنَّ العقل قادرٌ على إدراك جميع القضايا، ومنها الغيب، ولما كان الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يُطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى من رسول، فإن إخضاعه لمقاييس العقل البشري يعد مسلكا خطيرا، فهو بلا شك غير قابل للتحليل العقلي، إذ كيف يحلل العقل الروح مثلا، أو البرزخ وما فيه، واليوم الآخر وما فيه، ولذلك قرَّر علماء الإسلام أنَّ الغيب لا يؤخذ إلا من النقل المعصوم، ولا مدخل للعقل فيه إلا من حيث التسليم والإيمان، لا الحكم والتوجيه، وقد ظهرت عدة دعاوى لهذا الاتجاه، أبرزها ما يلي.

الدعوى الأولى : دعوى عدم استقلال الوحي بالمعرفة .

زعم البعض أنَّ الوحي لا يستقل بذاته في الوصول للمعرفة، حيث إنَّ: "الوحي يعتمد على صحة النقل، وعلى اللغة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، كما يعتمد أيضا على العقل"(١).

المناقشة :

نلاحظ في هذا النص محاولة لإخضاع الوحي للعقل، بحيث لا يعد النقل صحيحا إلا إذا وافق العقل ورضي عنه، وهو ما يترتب عليه نفي استقلالية الوحي، واشتراط العقل في قبول النصوص، وهذا الفهم مناف لحقيقة الإيمان بالغيب الذي هو ركن أصيل في الدين الإسلامي، وقد قرر علماء الإسلام أن الغيب لا يؤخذ إلا من النقل الشريف ولا يمكن

(١) حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية، طبعة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ج٢/ ص٩.

إعمال العقل فيه؛ لأنَّ العقل البشري قاصر عن إدراك تلك المسائل.

يقول الشـــيخ الميداني: "وللعقل كما - للحس الظاهر والحس الباطن - حدود ينتهي إليها، متى وصل إليها أعلن عجزه أنه محدود بين شيئين هما: الزمان، والمكان، لذلك يسأل دائما متى؟ وأين؟ مع أن الحقائق الكبرى لا مكان لها، ولا زمان، ولكن العقل عاجز عن تصـــور ذلك، إنه محدود حينما يعلن عجزه عن التســـليم بواحد من احتمالين لا ثالث لهما، هما هل الكون متناهي الحدود؟ أو هو غير متناهي الحدود؟ ... وعالم الغيب لا يســـتطيع العقل مستقلا أن يحكم على شـيء فيه بإثبات، أو نفي، إلا ضـمن أحكامة الذاتية"[١]، وبناءً عليه فلا مجال للعقل للبحث والتحليل في الأمور الغيبية؛ لأنها خارجه عن حدود إدراكه، ومن هنا فإنَّ أيَّ محاولة لجعل العقل حاكما على الوحي، أو متســـاويا له، أو متفوقا عليه، يفتح باب التأويلات العقلية الخاطئة لنصوص الشرعية، وخاصة الغيبيات.

الدعوى الثانية: لا وجود إلا للمحسوس

إنَّ التيار العقلاني المتطرف يعتمد على الحسّ والمادة في فهم العالم والدين، ومن هنا يرفض هذا التيار فكرة الغيب بشكل كامل، ويعتبرها غيرَ عقلانية، وغير منطقية، إذ يزعم بأن الغيب مجرد فرضـــية لا تســـتند إلى برهان، وأنه لا وجود لما لا يشـــاهد أو يجرب، حيث يقولون: (إننا ماديون نؤمن بالمحســـوس وما يمكن أن نُجري عليه التجارب، ويخضـــع لمجاهر الفضـــول وســـمادير النظريات، وإن ما لا يقع تحت هذا المعيار هو مفقود غير موجود، حتى وإن جاء به القرآن والسنة)[٢].

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) عبدالســـلام البســـيوني، العقلانية هداية أم غواية، طبعة: دار الوفاء للطباعة والنشـــر، المنصـــورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٦١.

وعليه فما لا يقع في إطار تلك المعرفة الحسية لا يمكن الإيمان بوجوده، وهي دعوى قديمة تمَّ استنساخها في عصرنا الحاضر للتحرُّر من الإيمان بالغيب، ويمكن تلخيص تهافت تلك الدعوى كما يأتي:

المناقشة:

أولاً: كذب المحسوسات.

رغم أنَّ الحسّ مصدر من مصادر المعرفة إلا أنه مصدر غير موثوق فيه، فكثيرًا ما تخدعنا المحسوسات.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: "لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضًا، وأخذ يتسع فيها ويقول: من أين الثقة بالحواس؟ وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفًا غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة - بعد ساعة - تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة واحدة بغتة، بل بالتدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف"[1]، ومن هنا فإن اعتماد الاتجاه العقلاني المعاصر على الحواس كمصدر وحيد للمعرفة فيه جهل بطبيعتها المحدودة، فالمحسوسات مصدر للمعرفة ولكنه لا يؤدي لليقين.

ثانيا: قانون السببية.

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على قانون السبب والنتيجة في إنكار الغيبيات؛ لأنَّ ما لا يخضع للمشاهدة والتجربة بحسب زعمهم لا يعد موجدا، وقانون السبب والنتيجة يقوم على "أن القضايا التركيبية هي التي تصف الحقيقة، وتحتاجُ إلى المعرفة بالعالم، وتعتمد

(١) أبو حامد محمد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتعليق الدكتور: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ نشر، ص١١٢.

على المشـــاهدة والتجربة"[١]، بل ذهب بعضـــهم إلى أن الكون يعمل ويخطط بذاته، ولا حاجة فيه لمصـــمم خارجي، فقال "يســـتطيع الكون أن يعيش، ويعمل، ويخطط"[٢]، دون حاجة إلى شيء وراءه.

وفي الحقيقة نحن المســلمين لا ننكر قانون الســبب والنتيجة والغائية وارتباطه بالعقل، بل نقر به، فالعقل حجة الله على عباده المكلفين، كما أنَّ أحكامه يقينية، لا كذب فيها متى تعلق الأمرُ بإمكانيات العقل من غير تجاوز لحدوده، غير أنَّ التمادي في تعميمه ليشـــمل كل شيء بما في ذلك الغيبيات هو مجاوزة لحدوده.

يقول ابن خلدون: "العقل ميزانٌ صـــحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أُمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصـــفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال"[٣].

ثالثا: استبعاد الإمكان العقلي.

إذا كان أصـــحاب التيار العقلاني المنكر للغيب متمســـكين بالعقل كحاكم على وجود الأشـياء من خلال المعرفة الحســية القائمة على المشـاهدة والتجربة، فالسـؤال الذي يطرح نفسه هنا: لمّاذا يستبعدون الإمكان العقلي في وجود الغيبيات؟ والقاعدة الفلسفية المشهورة

(١) جون ديوي، المنطق نظرية البحث، ترجمة، وتعليق: د. زكي نجيب محمود ، تقديم: عبدالرشـــيد الصادق محمودي، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ٢٠١١، ص ٥٠٦.

(٢) ريتشـــارد دوكينز، العلم والحقيقة، ترجمة: مصـــطفى إبراهيم فهمي، طبعة: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص٥٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، الفصـــل العاشـــر في علم الكلام، طبعة: دار القلم، بيروت، الطبعة الخامســـة ١٩٨٤م، ص ٤٦٠.

تقرر أن (ما قرع سمعك فذره في ساحة الإمكان حتى يذودك عنه ساطع البرهان)، فالعقل لا يحكم بالنفي إلا عند التناقض، ومادامت الغيبيات ممكنة عقلًا فلا وجه لإنكارها لمجرد غياب الدليل التجريبي، خاصة مع موجود النقل الصادق المثبت بالوحي.

ومن المعلوم أنَّ أصحاب الاتجاه العقلاني المتطرف استبعدوا قاعدة الإمكان في تقرير وجود الغيبيات، وهو ما يتناقض مع التفكير العقلي الفلسفي.

يقول الدكتور يحيى هاشم فرغل: "كما أنه ليس في الشريعة الإسلامية تكليف جسدي فوق طاقة الجسدَّ أو تكليف وجداني فوق طاقة الوجدان، فكذلك ليس فيه خطاب للعقل مناقض لطبيعة العقل، وليس معنى هذا أن العقائد الإسلامية ينبغي أن تثبت بالعقل، وإنما يكفي ألا تكون متناقضة معه ليتقبلها، يكفي أن تكون في نظر العقل ممكنة بالإمكان العام، ولعل هذا المعنى الذي يقصد إليه ابن السمعاني حين يقول: ليس بالعقل نعرف الله، ولكن مع العقل نعرفه"[1].

وبهذا يظهر تهافت هذه الدعوى العقلانية المتطرفة، التي أقامت إنكارها للغيب على دعوى عدم خضوعه للمشاهدة والتجربة، متجاهلة ما للعقل من قدرة على التسليم بالممكنات إذا ثبتت بنقل صحيح.

الدعوى الثالثة: الإيمان بالغيب سبب سيادة الخرافات.

من الأسباب الواهية التي استند عليها أصحاب التيارات العقلانية في عصرنا هو الادِّعاء بأن: "العلماء قد جعلوا من المسلمين عاكفين على الأوهام مثل الهندوس، بما حكوا عليهم من قصص السعالي والجن والأغوال، وكل يوم نسمع نساءً ورجالًا يشكون تلبس الجن

(١) د. يحيى هاشم فرغل، الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، طبعة: دار الفكر العربي، ص٣٩١، ٣٩٢.

والغيلان بهم، وذلك كله نتيجة لما يلقنونهم من الإيمان بالمغيبات"[١].

المناقشة:

يجب أن نفرّق بين قصص وأوهام الجهلاء التي لا تمت للغيب بصلة، وبين وجود الغيبيات الثابتة في الشرع، "إنَّ التوهم الذي قيل أنه تولد من قصص الجن والغيلان لم ينتج عن الإيمان بوجودهم، وإنما نتج عن الإفراط والتفريط اللذين أدى إليها الجهل والحرمان من صحبة العلماء وملازمة الجهلاء، والدليل الواضح على ذلك أن الصحابة والتابعين والعلماء السلف كلهم كانوا يؤمنون بالملائكة والجن والشياطين، ولكنهم لم يقعوا فريسة الوهم"[٢].

ومن خلال ما سبق، يتبين تقارب دعاوى الملحدين وأصحاب اتجاه العقلاني المفرط في إنكارهم للغيبيات، فمنهم من اعتمد أسلوب السخرية والتهكم، ومنهم من اعتمد منهج التخيل والوهم، مع إجماعهم على أن العقل لا يدرك إلا الماديات، وما وراء الماديات لا يمكن الإيمان بوجوده، محاولين ليّ أعناق النصوص، وإنكار ما ثبت به النقل، بدعوى عدم خضوعه للحس والتجربة أو مخالفته للعقل حسب زعمهم، وإن ظن هؤلاء أن مذهبهم العقلاني يقوم على منهج علمي يستطيع أن يجذب ببريقه فئة كبيرة من البشر، إلا أنَّ الواقع من خلال تحليل تلك الدعاوى تحليلا علميا، وعقليا سليما يبين تهافتها، فما هي إلا محاولات واهية لتبرير إنكارهم للغيب، إذ لم يقدموا بديلا مقنعا عن الإيمان بالغيب، فبدون الاعتقاد بالجزاء الأخروي سيؤدي حتما للفوضى والعبث بعد انتشار الفكر المادي في المجتمعات، ولن يبقى هناك معنى للعدالة، أو محاسبة على الظلم؛ لأنَّ إنكار الغيبيات ينفي

(١) عبدالسلام البسيوني، العقلانية هداية أم غواية، ص٥١٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥١٤.

كل القيم الأخلاقية ويؤدّي إلى انهيار الروابط الإنسانية.

ومن هنا ظهرت خطورة أصـــحاب تلك الاتجاهات الإلحادية العقلانية، والعلمانية وغيرها، والرابط بينهم في إنكارهم للغيبيات وحدة المنهج مع تنوع الوســائل، وبالتالي تبرز ضرورة التصدي لهذه التحديات المعاصرة ووضع سبل وآليات مواجهتها في ضوء العقيدة الإسلامية، وهو ما سوف أتناوله في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

سبل مواجهة التحديات المعاصرة في قضايا الإيمان بالغيب

تبين فيما سبق أنَّ قضايا الإيمان بالغيب في العصر الحديث تواجه تحديات متعددة، من أبرزها، التيارات الإلحادية المعاصرة، والتيارات العقلانية المتطرفة، ولا شكَّ أن تلك التحديات تتطلب منا التعامل معها بوعي وحكمة بالاستناد إلى الأدلة العقلية، وتكثيف دور المؤسسات الدينية الممثلة في الأزهر الشريف؛ لبيان تهافت هذه الدعاوى، ودحض شبهات المنكرين للغيب، ومن هنا سوف أتناول في هذا المبحث سبل مواجهة التحديات المعاصرة في قضايا الإيمان بالغيب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: دور الأدلة العقلية في دعم الإيمان بالغيب.

إنّ المعول في الإيمان بالغيب حسب ما تقرره العقيدة الإسلامية هو النقل الشريف، الذي يعترف العقل بسلطانه، ويقر بعجزه ويعلن ضعفه عن إدراك تفاصيله من تلقاء نفسه، ورغم ذلك توجد أدلة عقلية تؤكد وجود الغيب دون الخوض في ماهيته، وبالتالي، يساعد الدليل العقلي على تقوية الإيمان بالغيب وترسيخه، وتحويله من إيمان تقليدي إلى إيمان راسخ.

أولاً: مفهوم الدليل العقلي.

يعرف الدليل بأنه: ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة ما لا يعلم باضطراره، وهو على ثلاثة أضرب: عقلي: له تعلق بمدلوله، نحو دلالة الفعل على فاعله، وما يجب كونه عليه من صفاته، نحو حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وسمعي شرعي: دال من طريق النطق بعد المواضعة، ومن جهة معنى مستخرج من النطق، ولغوي: دال من جهة المواطأة والمواضعة على معاني الكلام، ودلالات الأسماء، والصفات، وسائر الألفاظ"[(١)]، وبالتالي

(١) القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت ٤٠٣هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص١٥.

فالدليل هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة المطلوب، أو أنه ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.

أما لفظ العقل، فقد وردت مادة الكلمة (ع – ق – ل) في القرآن الكريم خمسين مرة تقريبًا[١]، منها قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣].

وعرَّف علماء الإسلام العقل بعدة تعريفات اصطلاحية، من أبرزها:

١ – الإمام فخر الدين الرازي "العقل هو الذي يعرف به نعم الله التي يمكن الانتفاع بها، والأشياء الأخرى التي لا يمكن الانتفاع بها، وبهذا يكون العقل أصل جميع النعم"[٤].

٢ – الإمام البروسوي[٥](ت ١١٢٧هـ): العقل هو الذي يدرك المحسوسات، وتكون من

(١) ينظر/ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، مادة (ع. ق. ل)، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٢.

(٣) سورة الملك: الآية ١٠.

(٤) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج١/ ص٢٢١.

(٥) البروسوي: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي مستعرب، ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ واوذي، وعاد إلى بروسة فمات فيها توفي عام ١١٢٧ه، من مصنفاته: (روح البيان في تفسير القرآن)، و(الرسالة الخليلية في التصوف)، ينظر: خير الدين ابن محمود الزركلي، (الأعلام)، طبعة: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ج١/ ص٣١٣.

خلاله الفطنة، ذلك أنَّ الحس والفطنة لازمان للعقل؛ لأن من لاحِسَّ له، لا فطنة له[١].

٣- ابن عاشـــور: العقل هو "إدراك الأشـــياء علي ما هي عليه"[٢]، وبالتالي، فمناط التفكير العقلي يدور حول الأشـياء الموجودة بالفعل في الواقع المشـاهد، أما الأشـياء الغيبية التي لا تخضع للمشاهدة فلا يستطيع العقل وحده إدراكها.

ومن خلال ماسبق يمكن القول بأنَّ التعريفات الاصطلاحية للعقل لدى علماء الإسلام متقاربة إلى حد كبير، حيث ذكر البعض بأنه منبعٌ للعلم والفهم، بينما البعض الآخر قرر أنه المنوط بالإدراك المستمد من الحواس، أو بالاستنتاج العقلي عبر النظر الصحيح، بينما ذكر آخرون أنه الآلة التي يمكن للإنســان من خلالها معرفة ما ينتفع به، وما لا ينتفع به، وكل هذه المعاني متقاربة في المعنى والمدلول.

ثانيًا: تطبيقات الدليل العقلي في ترسيخ الإيمان بالغيب ومواجهة التحديات المعاصرة.

يعد الدليل العقلي أحد أقوى الوســائل المعتمدة في تقرير الحقائق الغيبية، لما يتمتع به من قدرة على اسـتنباط القضـايا اليقينية التي لا مجال للشـك فيها، حتى وإن اسـتند في بعض جوانبه إلى الدلائل النقلية، فالعقل بوصـفه حجة الله على عباده المكلفين، يقدم اسـتدلالات

(١) واسـتدل الإمام البروسـوي على هذا التعريف بالأثر الوارد:" أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أتى إليه جبرائيل بثلاث تحف، العلم والحياء والعقل، فقال يا آدم اختر من هذه الثلاث ما تريد، فاختار العقل، فأشار جبريل إلى العلم والحياء بالرجوع إلى مقرهما، فقالا إنا كنا في عالم الأرواح مجتمعين فلا نرضى أن يفترق بعضنا عن بعض في الأشباح أيضا فنتبع العقل حيث كان، فقال جبريل عليه السلام استقرا فاستقر العقل في الدماغ، والعلم في القلب، والحياء في العين"، ينظر: إسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، طبعة: دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج١/ ص٦٠.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، طبعة: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ج١٤/ ص٧٧.

يقينية لا كذب فيها متى تعلق الأمرُ بإمكانيات العقل من غير تجاوز، وبذلك يصبح الدليل العقلي الوسيلة الأشد فعالية في مواجهة التيارات الإلحادية والعقلانية المتطرفة وغيرها التي تُعلي من شأن المعرفة الحسية على حساب ما يتجاوز حدود التجربة.

فالعقل في المنهج الإسلامي يُوجه الفكر ويضبطه، ويحدد حدود استخدامه دون أن يتركه ينجرف في مغريات المادية، وقد اعتمدت على توظيف الدليل العقلي كأداة منهجية لمواجهة التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب، حيث إنَّ تلك التيارات المعاصرة تتمسك بالعقل كونه المصدرَ الأساس للمعرفة، فكان لزاما بيان أن العقل نفسه يثبت الغيبيات ويؤيدها، بل ويمثل حصنا منيعا يرسخ الإيمان بها، إذ يثبت قضاياها ويؤكد حقائقها، ومن هنا يمكن توظيف الدليل العقلي لمواجهة هذه التحديات المعاصرة التي تشكك في الغيبيات أو تأولها وفق منهج مادي بحت، عبر عدة تطبيقات منها:

١ -أحكام العقل تقرر قضايا الإيمان بالغيب

إن الدليل العقلي اليقيني يشهد بتقرير قضايا الإيمان بالغيب التي ترتكن إلى الركن الحصين، وهو عقيدة الألوهية ووجود رب البرية، وجعلها حقيقة واقعية، أما لماذا؟ فلأن من رأى بناءً محكما تماسكت أجزاؤه وتكاملت بناءاته، وتعلقت به غاياته، أدرك بداهة أنَّ له خالقًا، ليس هو الطبيعة الخرساء، ولا قوانين العلم الصماء، وإنما هو قدرة القادر العليم الذي خلق الأرض والسماء، يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[1].

كما أنَّ أحكام العقل الثلاثة (الواجب، والمستحيل، والممكن)، شاهدة معترفة بأنَّ

(١) سورة الأعلى: الآيات ٢ : ٥.

خالق الكون ومدبره هو الله جلّ علاه، أما لماذا؟ فلما يأتي:

١- "الواجب[١]: وهو الثابت الذي لا يقبل العدم أبدًا، وهو وجود الله تعالى، بدليل إنه واجب الوجود لذاته.

٢- المستحيل (الممتنع)[٢]: وهو الذي يمتنع وجودهُ أبدًا، ومنه شريك الباري جلّ علاه، والجمع بين النقيضين.

٣- الممكن[٣]: وهو الذي يتساوى وجوده وعدمه من ذاتهِ، فإذا وجد فلابد أن يكون له موجد، وإذا أُعدم فلابد له من مُعدم.

ومن هنا فإن الدليل العقلي شاهدٌ على أن كافة أجزاء الكون مردها إلى الله تعالى، لا إلى قوانين طبيعية، ولا إلى مادة صماء، ولا إلى قوانين رياضية أو غيرها، مما يدعو إلى الإيمان، ولو أنَّ أحكام العقل أخذت بعين الاعتبار من الناحية التطبيقية، لتغيرت كثير من اتجاهات الباحثين نحو الإيمان بالغيب، إذا كانوا للحق راغبين، وعلى الله متوكلين.

٢-التكامل بين طريقي العقل والسمع في قضايا الغيب .

ذهب الدكتور عبد الحليم محمود[٤] إلى أن: القرآن الكريم هو كتاب العقل، وأنه

(١) ينظر: السيد الشريف الجرجاني، (التعريفات)، تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ ١٩٨٣/ هم، ص٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٤) عبد الحليم محمود: (١٣٢٨ه ، ١٣٩٨ ١٩١٠ ،هم ، ١٩٧٨م) العالم الصوفي المتعمّق، شيخ الأزهر، ولد في «عزبة أبو أحمد»، التابعة لمركز بلبيس في محافظة الشرقية، وأبو أحمد الذي نسبت «العزبة» إليه هو جده، وكان والده يدرس في الأزهر، فأسلمه إلى كتّاب القرية، وحفظ القرآن الكريم وعمره ثلاثة عشر عاما، =

بأكمله دعوة صارخة لتحرير العقل من عقاله، وأنه يدعونا بعبارات تختلف في أسلوبها، وتتحد في معناها إلى استعمال العقل، ووزن كل شيء بميزانه، وأنه يترك لنا الحرية في أن نعتقد ما يرشد إليه عقلنا، وأن نتبع السبيل الذي ينيره منطقنا، أو يهدينا إليه تفكيرنا[1]، وبالتالي فإن الدليل العقلي متوافقٌ في معناه مع النص القرآني، وإن تنوعت أساليبه.

وقد ذهب علماء الإسلام إلى الجمع بين طريقي العقل والسمع، فكلاهما من عند الله، ولا تعارض بينهما، بل الرسول ﷺ قد بيَّن بالبراهين الحسية، والعقلية، والسمعية المطالب الإلهية الكبرى في قالب تكاملي بين العقل، والنقل، وهذا التكامل يظهر في أن البحث العلمي الموضوعي إذا تجرد عن الهوى، فإنه يصل إلى نفس الحقائق التي أتى بها السمع، ويؤكد هذا المعنى الشيخ الميداني، حيث يقول: "إن البحث العلمي المتجرد عن الهوى والتعصب المذموم والعناد، لابد أن يصل بالباحث إلى الإيمان بالله تعالى، وصفاته الجليلة، وإلى كل مبدأ قرره الإسلام، وعلمنا به بطريق قاطع، ولذا فإننا نرى أن الإسلام دفع الناس إلى العلم والمعرفة بإلزام وإلحاح، وقذف بهم إلى دقِّ أبواب المعارف المغلقة، بكل وسيلة معقولة

ثم سافر به والده إلى القاهرة، فدخل الأزهر عام ١٩٢٣م، وبعد عامين فتح معهد الزقازيق فذهب إلى هناك، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٢٨م، ثم درس القسم العالي في الأزهر، فنال الشهادة العالمية أيضًا، وذهب إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه، ورجع من باريس ليعين مدرسًا لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم أصبح أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين، ثم أصبح عميدا للكلية واستعانت أكثر من دولة أو جامعة عربية بجهوده، ومن مؤلفاته، (التفكير الفلسفي في الإسلام)، و (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام)، (الإسلام والعقل)، محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، طبعة: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ، ج١، ص٢٧٠/ ٢٧١.

(١) ينظر: د. عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، طبعة: دار المعارف المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص١٥.

مقبولة وبِّكل جرأة وشـجاعة وتصـميم، وحث كل فكر إلى التأمل والنظر، للوصـول إلى المعرفة الحقة، ولم يجعل على العقول حجابًا ساترًا؛ لأنه لا يخشى على عقائده ومبادئه من أيِّ بحث علمي سليم"[١].

وبناءً عليه تظهر العلاقة الوطيدة بين نصـوص الدين، والبحث العلمي الموضـوعي البعيد عن الزيغ والهوى، وهي علاقة تكامل لا تضـاد، فالإسـلام لم يكن يومًا ليرفض حقيقة علمية، جاءت نتيجة البحث والتجربة، وتبقى نقطة الخلاف الوحيدة بين الدين والتيارات الإلحادية والعقلانية المتطرفة وغيرها، هي إسـناد السـبب والمؤثر للطبيعة أو المصـادفة وإنكار كل ما هو غيبي.

٣-التكامل بين الدين والعلم والعقل

ذهب علماء الإسـلام إلى وجود تكامل بين الدين والعلم والعقل؛ إذ لا تعارض بين الوحي الإلهي المعصـوم، وبين العقل السـليم، ولا بين البحث العلمي الرصـين والدين، بل يكمل بعضها بعضا في الوصول للحقيقة المجردة عن الأهواء.

يقول الشـيخ (مصـطفى صـبري)[٢] إن: "الدين الإسـلامي قائم على العلم والعقل،

(١) عبد الرحمن حسـن حبنكة الميداني، العقيدة الإسـلامية وأسـسـها، طبعة: دار القلم، دمشـق. سـوريا، سلسلة: طريق الإسلام رقم(١)، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٠٠.

(٢) مصـطفى صـبري: من علماء الحنفية تركي الأصـل والمولد والمنشـأ، تولى مشـيخة الإسـلام في الدولة العثمانية، وهاجر إلى مصر، بأسـرته وأولاده (سـنة ١٩٢٢م) فألف كتبا بالعربية، منها (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسـلين) أربعة مجلدات، ومن كتبه بالعربية أيضـا (موقف البشـر تحت سـلطان القدر) و (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة) و (مسـألة ترجمة القرآن) و (القول الفصـل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضـها، ووفاته بالقاهرة. الزركلي، الأعلام، ج٧/ ص٢٣٦.

فالإسلام لا ينكر النظريات العلمية التي تتناول مسألة بدء الخلق، ولكن يجب على العلم والعلماء التوقف في الأمور التي لا يمكن الوصول إليها بالعلم، ويبقى هذا في علم الله الغيبي"[١].

ومن بين الغيبيات التي أقرها العقل، قبل أن يؤكدها النقل البعث، واليوم الآخر، إذ يرى العقل أنَّ الحكمة الإلهية تقتضي وجود جزاء على الأفعال بثواب المطيعين، وعقاب العاصين، وإلا كان الوجود عشوائية وعبثا، وهو محال على الله الذي خلق الكون وأبدعه، هذا ما قرره العقل استنادا لمبدأ الحكمة[٢] والعدالة[٣]، وأكده وفصله الدين في العديد من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾[٥].

---

(١) الشيخ مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الثانية١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١/ ص١١٢.

(٢) يدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ .سورة المؤمنون الآية: ١١٥.

(٣) يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ . سورة إبراهيم: الآية ٤٢، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .سورة الجاثية: الآية: ٢١.

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٥) سورة التوبة: الآية ٦٨.

٤-تهافت المنهج العلمي والعقلي لدى أصحاب التيارات المتطرفة.

إذا كان علماء الإسلام قرروا التكامل بين العقل والعلم والدين ففي مقابل هذا التكامل، نجد أن أصحاب التيارات الإلحادية المعاصرة قد بنت موقفها على تقديس المادة، إذ يزعمون أن الكون وما فيه إنما وجد من أصل المادة، وأن قوانين المادة هي الخالق المدبر، فأنكروا الغيب، وجعلوها هي البديل عن الإله، فخرجوا بذلك عن مفهوم المعرفة العلمية الصحيحة لتعريف المادة وتجاوزوه، فالأمور الغيبية، وأمور الدين لا تخضع لتجربة الإنسان، ولا تدركها حواسه، ولا يمكن للعقل المادي وحده إدراكها، كما بنوا عليها تفسيرهم التاريخي لحياة الإنسان وتطوراته.

وقد ادعت المادية نسبتها إلى الواقِع الذي لا يُنكَر ولا يكذب، وأصبحت عبادة المادة هي الأساس المشترك لجميع الملاحِدة، على اختلاف مذاهبهم، وهي تعادل في تصرفاتها عند الملاحدة تصرفات خالق الكون عند المؤمنين[١].

وقد أقام الملاحدة وأصحاب التيار الإلحادي هذه الفكرة في مضادة أي شيء يتعلق بعالم الروح والغيب، حيث لا يؤمنون بوجود الروح؛ لأنها تباين المادة التي إذا وجدت في شيء أعطته الحياة ضرورة، فالمادة هي كل شيء، وجعلوها البديل عن الله ﷻ، بزعم أن معاملهم أعطتهم الدليل المادي على ذلك، ولقد كذبوا وتناقضوا، وظهر جهلهم وتخبطهم في نظرياتهم المتضاربة المتناقضة[٢].

(١) أحمد محمود صبحي، في فلسفة الحضارة (اليونانية الإسلامية العربية)، وصفاء عبد السلام جعفر، طبعة: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٩٩٩م، ص٢٣٧.

(٢) ينظر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الكيد الأحمر، طبعة: دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٠ ١٩٨٠/ هم، ص٣٥١، ٣٥٢.

وهذا موقف يناقض أساس المنهج العلمي، إذ من شأن هذا المنهج الاقتصار على الكون المادي وعدم تجاوزه إلى ما وراءه؛ لأن وسائله التي يعتمد عليها هي التجربة، والحسّ، والمشاهدة، وهذه الوسائل قاصرة عن إدراك ما وراء الكون المادي، فهي لا تملك إزاءه أية وسيلة للنفي، أو الإثبات، فكان لزامًا على الملحدين وأصحاب التيار العقلي المتطرف الذين يدعون أنهم أصحاب" فلسفة علمية " أن يلتزموا بموضوع هذا المنهج، فيركزوا دراستهم على الكون المادي، ولكن هذه الفلسفة المتطرفة لم تلتزم بذلك واقتحمت عالم الغيب، منكرة وجود الخالق وكافة الحقائق الغيبية.

هذا هو الإلحاد المعاصر الذي يسعى مؤسسوه ومؤيدوه للقضاء على الإيمان بالغيب، وحجب الحواس عن رؤية آثار الخالق الرحمن، فيجادل الملحد في البديهيات، جاهدًا في جعل الحق باطلًا، والباطل حقًا، استنادًا إلى أقوال بلا دليل، وادعاءات بلا مستند، فأين عقولهم من هذه المزاعم، ولا نجد تفسيرا لهذا الإنكار، سوى قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

٥-رفض المصادفة كبديل عن الإله الخالق:

لقد بذل الملحدون وأصحاب التيارات العقلية المتطرفة، ومن على شاكلتهم، جهدا كبيرا لنفي فكرة الغيبيات بصفة عامة والإله الخالق العظيم لهذا الكون بصفة خاصة، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاع واحد من هؤلاء أن يقدم دليلًا عقليًا أو تجريبيًا يثبت عدم وجود الله تعالى، أو ينقض الغيبيات بصفة عامة؟!، وعلى أيّ دليل قد استندوا في إنكارهم الحقائق الغيبية التي أثبتها الدين، مما لا يقع تحت الحسِّ، ولم يثبت بالتجربة العلمية؟!

(١) سورة البقرة : الآية ٧.

إنَّ جميع أدلتهم تنحصر في "محاولات إيهام صغار العقول وقليلي المعرفة، بأن مالا تشاهد ذاته فهو غير موجود، وتجاهلوا الأدلة العلمية، التي تثبت بشكل قطعي عجز الوسائل الإنسانية عن التوصل إلى الإحساس بموجودات كونية كثيرة يثبتها العقل، ولا تستطيع وسائل العلم الإنسانية المادية أن تنفيها، بل الأمر بالنسبة إليها يعتمد على براهين العقل ودلائله الاستنتاجية"(١).

وقد تبين قولهم: "بأزلية المادة"، إذ خلعوا عليها صفات الأبدية والسرمدية، فجعلوا الكون بمظاهره عملًا ماديًا أعمى، ليس فيه أي أثر للخالق الذي تستند إليه كل الأديان.

فها هو الفيلسوف الألماني "كانط" يقول: " ائتوني بالمادة وسوف أعلمكم كيف يخلق الكون منها"، وأعلن "هيجل" :"إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيماوية والوقت"، وصرخ نيتشه: "لقد مات الإله الآن"(٢).

وهكذا زعم هؤلاء الملاحدة أن العلم قد أوصلهم إلى أن الكون إنما وجد من مادة خالية من التدبير، وأنه لا أثر فيه للخالق، وعلى ذلك، فإنهم يرون أنه لا حاجة مع وجود هذه العلوم والاكتشافات إلى القول بوجود الخالق فهي تغني عنه.

إن مقولة الماديين بوجود التقنيات الراقية المعقدة في الكون بالمصادفة، أمر مرفوض بالمنهج العلمي الذي يتذرعون به، فهو لا يثبت إلا ما يمكن التحقق منه تجريبيا، ومرفوض بالبداهة العقلية، التي تقضي بأن النظام المحكم يدل على منظم عليم، ومرفوض كذلك بالمسلمات التي اتفق عليها المنهج العلمي المادي، والتي تؤكد استحالة نشوء نظام دقيق

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٥٤٠.

(٢) وحيد الدين خان، العلم في مواجهة المادية، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، طبعة: دار النفائس، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ ١٩٨٧ / هم، ص٦٤.

عن طريق المصادفة.

وأقوال العلماء الغربيين تؤيد ذلك:

حيث يقول البروفيسور(إيدوين كونكلين)[١]: "إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة (حادث اتفاقي) شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم، نتيجة انفجار في مطبعة على سبيل المصادفة، أي: لا يمكن للمصادفة أن توجد هذا النظام المتقن الرائع، إذن فلابد له من خالق خلقه وأتقنه".[٢]، وفي رد العالم "كريس موريسون"[٣]على ادعاء "هيجل" في قوله السابق إنه قادر على خلق الإنسان إن توفرت له المواد والوقت، قائلًا: "إن هيجل يتجاهل في دعواه الجينات الوراثية، ومسألة الحياة نفسها، فإن أول شيء سيحتاج إليه عند خلق الإنسان هو الذرات التي لا سبيل إلى مشاهدتها، ثم سيخلق (الجينات)، أو حملة

(١) إدوين كونكلين: عالم حيوانات وأحيائي أمريكي، ولد في ٢٤ نوفمبر ١٨٦٣م في والدو في الولايات المتحدة، وتوفي في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢م في سان دييغو في الولايات المتحدة. ينظر: الموسوعة الحرة، مادة (إدوين كونكلين).

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، طبعة: دار القلم، دمشق سوريا، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ص١١٢، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ سورة السجدة: الآيات ٧:٩.

(٣) كريس موريسون: كيميائي أمريكي، ولد في ٦ ديسمبر ١٨٦٤م، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة، وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني، توفي في ٩ يناير ١٩٥١م الموافق الثلاثاء ١ ربيع الثاني ١٣٧٠ هـ. ينظر: مقدمة كتاب العلم يدعو للإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكية، طبعة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م، ص٥.

الاستعدادات الوراثية، بعد ترتيب هذه الذرات، حتى يعطيها ثوب الحياة، ولكن إمكان الخلق في هذه المحاولة بعد كل هذا لا يعدو واحدًا على عدة بلايين"[١].

وعلى ذلك، "فإن النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينا العقل السليم، ليست مقصورة على أن لهذا الكون خالقًا فحسب، بل لابد أن يكون هذا الخالق حكيمًا عليمًا قادرًا على كل شيء، حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره، ولابد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود، تتجلّى آياته في كل مكان، وعلى ذلك فإنه لا مفر من التسليم بوجود الله خالق هذا الكون وموجهه"[٢].

ولذلك، نجد أن القرآن الكريم قد أبطل هذه الدعاوى المادية، ببيان ضعف قدرة البشر أمام الخلق الإلهي، بقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[٣].

المطلب الثاني: عوامل انتقال دعاوى إنكار الإيمان بالغيب إلى المجتمعات الإسلامية وسبل مواجهتها.

البيئة الغربية كانت حاضنة لنشأة العديد من التيارات الإلحادية والعقلانية المتطرفة وغيرها، وقد أسهمت عدة عوامل في انتقال دعاوى الإيمان بالغيب من البيئة الغربية للمجتمعات الإسلامية، مما أدى إلى تغلل الفكر الغربي والمادي داخل المجتمعات

(١) الشيخ الميداني، صراع مع الملاحدة، ص١١٢، ١١٣.

(٢) جون ويليام كلون، ضمن أبحاث كتاب الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان، مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص٣١.

(٣) سورة الحج : الآية ٧٣.

الإسلامية، ومن ثمّ فإن الوقوف على هذه العوامل يعد مدخلا لفهم طبيعة الإشكال، وتحديد أفضل السبل لمعالجتها والحد من انتشارها، وتأكيد سيادة الإيمان بالغيب، وسد الثغور الفكرية والثقافية التي ينفذ منها دعاة الإلحاد؛ لذا سأتناول هذه العوامل أولاً، ثم الوقوف على سبل وآليات العلاج ثانيا.

أولاً: عوامل انتقال دعاوى إنكار الإيمان بالغيب من الغرب للمجتمعات الإسلامية:

لقد كان لتأثيرات التيارات الفكرية الإلحادية والعقلانية المفرطة في البيئة الغربية أثر بالغ في تسلل شبهاتهم إلى عقول بعض أبناء المجتمعات الإسلامية، ويمكن تقسيم هذه العوامل لقسمين، عوامل داخلية تتمثل في الأسباب التي نشأت من داخل المجتمعات الإسلامية، وأسهمت في خلق بيئة قابلة لاحتضان دعاوى الإنكار، وأخرى خارجية تتمثل في الأسباب التي نشأت خارج البيئة الإسلامية، ثم تسربت للداخل.

أ) العوامل الداخلية

١- **الافتتان بالحضارة الغربية**: حيث أدى الانبهار ببريقها اللامع المخادع، وما حققته من إنجازات مادية وتقدم علمي، إلى ربط بعض ضعاف النفوس بين التقدم العلمي والتقني، وبين الإلحاد والقطيعة مع الدين، متناسين أن بذور النهضة الغربية كانت في أصلها متأثرة بمعتقدات دينية إسلامية، وأن كثير من العلماء الغربيين يؤمنون بوجود خالق رغم إنكارهم للغيب، وبالتالي وقعوا في فخ تلك الأفكار، والحقيقة أن التقدم أو التخلف لأيّ أمة له علاقة بالاجتهاد والسعي والعمل؛ لذا الإسلام لا يربط بين الإيمان والتخلف، بل يدعو للأخذ بأسباب العلم والبحث العلمي والتسابق فيه، ويجعل التقدم المادي وسيلة لا غاية، وهذا ما يدعو لإعادة النظر في العلاقة المزعومة بين التقدم وإنكار الغيب.

٢- **الجهل بحقائق الدين ومقاصده**: أدى ضعف التأصيل العقدي لدى كثير من المسلمين، إلى سوء الفهم وسهولة الانقياد خلف الشبهات، خاصة فيما يتعلق بقضايا الغيبيات، التي تحتاج

إلى تفكر عميق وفهم دقيق لنصوص الدين الشاملة المتكاملة، التي تناسب جميع الأزمنة والأمكنة، كما قال الحق ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[١]، ومن ناحية أخرى غفلتهم عن ذلك الحقد العميق من أقطاب الإلحاد والتيارات العقلانية المتطرفة الناقمين على الإسلام والمسلمين، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[٣]، وبناءً عليه فالمواجهة هنا ليست فكرية مجردة بل عقائدية.

٣- **التشدد والغلو في الخطاب الديني**: أدَّى تشدد بعض الخطابات الدينية، وما مارسته جماعات متطرفة تستتر باسم الدين والدين منها براء، إلى تقديم صورة مشوهة ومنفرة عنه، فارتبط التدين في أذهان كثيرين بالعنف والإرهاب والتطرف، لا سيما في ظل تصرفات بعض المتدينين التي اتسمت بالغلظة والقسوة وتنصيب أنفسهم قضاة على الآخرين، مما أوجد صراعات داخل المجتمع المسلم، وفتح الباب أمام فراغ عقدي سرعان ما ملأه الفكر الإلحادي الوافد من الغرب.

وقد نشأ جيلٌ في ظل هذه البيئة، التي افتقدت التوازن والرحمة والحكمة، فضعفت علاقته بالثوابت، وسهل انقياده للفكر الهدّام، واستغل الملاحدة هذا الواقع لتصوير الدين على أنه مصدر للشرور والصراعات، والسعي إلى إقناع الشباب برفض الغيبيات.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٧.

وبناءً عليه " فالملاحدة الجدد ينطلقون في تعاملهم مع الدين من رؤية ترى فيه منبعًا للشـــرور والكوارث والقوارع البشـــرية، وأنه من الواجب الســـعي بجدية في محاربته وفق الأدوات المتاحة والممكنة"(١).

٤- **استغلال بعض وسائل الإعلام والصحافة في نشر المذاهب المادية المنكرة للغيب**: وذلك عبر الوكلاء المأجورين المتسترين، وهؤلاء يعملون على نشر الآراء الهدامة خفية، وذلك وفقا للمخطط الصهيوني، فقد جاء في البروتوكول الثاني: "إن الصحافة في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس"(٢)، وفي موضع آخر من البروتوكولات يقولون: "علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية"(٣)، وبالتالي فوسائل الإعلام من ضمن أبرز الآليات التي تؤدي في نهاية المطاف لسيادة الأفكار الإلحادية وإنكار الغيب وهو ما شدد عليه البروتوكول الرابع عشر الذي جاء فيه أنه: "يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وأن تكون النتيجة المؤقتة هي إثمار ملحدين، فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكن سيضرب مثلًا للأجيال القادمة التي تصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدته الصارمة، وأوجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا" (٤).

---

(١) عبد الله صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد(مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، ص٤٣.

(٢) محمد خليفة التونســي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صــهيون، البروتوكول الثاني، قدم له: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص١٢٤.

(٣) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الرابع، ص١٣١.

(٤) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، البرتوكول الرابع عشر، ص١٦٩.

٥- غياب الكوادر المؤهلة والمخصصة لدحض شبهات المنكرين للغيب: وعدم الإجابة على أسئلة المتشككين من الشباب وما يدور في أذهانهم حول الغيب، فلم تعد المسألة ترفًا علميا، بل هي واجب شرعي تقتضيه الظروف الراهنة، لذا، يحتاج الشباب إلى خطاب عصري مقنع، يعتمد على دلائل علمية رصينة، وتقديم البديل العلمي من أجل مواجهة تلك الشكوك في قضايا الإيمان بالغيب .

ب) العوامل الخارجية.

١ - **الحقد والعداء للإسلام والمسلمين**، وهو عداء مركب يمزج بين العداء السياسي والعقدي، حيث تسعى الصهيونية لبث سموم فكرية حول الإسلام تنكر الغيبيات عن طريق مسميات مختلفة مثل: الاستشراق، والتبشير، والتنصير، والتغريب، إن كل ما يخشاه مدعي إنكار الغيبيات هو الإسلام بوحدة صفّه ورجاله، يقول لورانس براون[١]: "إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نقمة

(١) الدكتور لورنس بي براون: كاتب أمريكي، تخرج في جامعة كورنيل، كليَّة براون الطبيَّة، وبرنامج Hospital residency بجامعة جورج واشنطن، جرَّاح عيون، تَخَصص في ماء العين، وجراحة refractive، تَقاعد كضابطٍ في القوات الجويَّة، يُقسّم د. براون وقتَه بين أمريكا، وإنجلترا، والأردن، والمملكة العربية السعوديَّة، وهو أيضًا كان وزيرًا دينيًا مقتَدرًا، لديه دكتوراه في اللَّاهوت، وفلسفة الدّين، أعاد د.براون توجيهَ بؤرة تركيزه نحو الدّراسات الدينية، والتي أثمرت عن اعتناق الإسلام باعتباره دين الله الحقَّ في أبريل ١٩٩٤م. وهو مُؤلّف كتابين في الدين المقارن، بعنوان: «الوصيَّة الأولى والنّهائية»، و« God'ed»، بالإضافة إلى كتاب الرّواية الأشهر: «اللَّفيفة الثامنة»، التي حازَتْ على جائزة أفضل روايةٍ في الولايات المتَّحدة للعام ٢٠٠٧م. ينظر سيرته الشخصية على موقعه الرسمي: www.leveltruth.com.

له، أما إذا بقُوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير"[١].

وقد نبهنا الله تعالى عن هذا الحقد الدفين بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٢]،

٢- **الاستشراق والتغريب**: إن الاستشراق أداة رئيسية لتفكيك البنية العقدية في المجتمعات الإسلامية، حيث قدم كثير من المستشرقين الإسلام بصورة مشوهة، مغلفة بادعاء العلمية والموضوعية، بينما هدفها الحقيقي تمكين الاستعمار الغربي.

يقول الدكتور البهي: "الاستشراق هو أبرز المجالات لتمكين الصليبية الدولية، والإلحاد العلمي من ترويج ما تبتغيه الكتلتان الصليبية والإلحادية معا ضد الإسلام، وباسم البحث العلمي والاستشراق توجد بحوث ودراسات في قضايا التراث الإسلامي، في الفقه والعقيدة والشريعة، وفي التاريخ السياسي، وفي الإمامة والخلافة، وفي الفلسفة وفي الاجتماع، قام بها قساوسة ولاهوتيون بتكليف من الكنيسة، أو من وزارات الخارجية للدول الغربية والشرقية على السواء"[٣].

ومما لا شك فيه "أن بعض الغربيين المشتغلين بالعلوم الإسلامية لم يعن بدراسة مبادئ الإسلام وعلومه إلا ليكون ذلك وسيلة لأن ينقده...، وهذه الطائفة من الباحثين كانت في مبدئها تعمد إلى تحريف الكلم عن مواضعه، فتقدم إلى شعوبها صورة مشوهة للإسلام،

(١) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، طبعة: إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٣٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٣) د. محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، طبعة: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى رجب ١٤٠١ هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص ٣٠.

ثم تعقب على ذلك بإصدار أحكامها المغرضة في تحديد القيم للمبادئ الإسلامية"[١]، والمستشرقين على أنواع منهم من يريد القضاء على الإسلام ومعارضته بكل الطرق، ومن أبرز هؤلاء الأستاذ ريلاند فيقول: "حقا إن الإسلام دين خطير، دين شديد الإضرار بالديانة المسيحية، ولكن أيجوز لنا أن نهمله ولا نعنى بشأنه وندرسه، أم الواجب علينا أن نبحثه ونكشف عن خفاياه، كما نبحث عن خفايا الشيطان، ونكشف عن حيلته، نعم الواجب علينا هو أن نعني كل العناية بأن يكون من أغراضنا العمل على معرفة الدين الإسلامي ودراسته على حقيقته، فذلك أعون لنا على مكافحته ومعارضته بقوة وثبات وإن اختلفت الطرق"[٢].

ومنهم من خدم الإسلام وللإنصاف فإن بعض المستشرقين كان هدفه فعلًا الاطلاع والدراسة والبحث، ولهذا نجد في كلامهم الحقيقة والإنصاف، وبعضهم دخل في الإسلام وكانت لهم جهود واضحة في خدمته، مثل إتين دينيه الذي صار اسمه ناصر الدين.

وأما مصطلح " التغريب فهو يستهدف إعادة تشكيل العقل المسلم وفق أنماط الفكر الغربي، والسعي لفصل المسلمين عن تراثهم العقدي والحضاري ومفاهيمهم حول الغيبيات؛ لذا عُرّف بأنه: "مجموعة من الدراسات والثقافات والنظم تجري حول المسلمين، وتطبق على مجتمعاتهم، فتؤدي بهم في النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربي، والحضارة الغربية المعادية للإسلام، أو يكونوا تحت تأثير هذه الحضارة، بحيث تحتويهم وتقضي على شخصياتهم وعلى ولائهم لدينهم"[٣]، فهو يهدف إلى "خلق عقلية جديدة

(١) د.محمد عبدالله ماضي، مقال بعنوان القيمة العلمية لأبحاث المستشرقين، مجلة الأزهر، المجلد الثاني عشر، عدد صفر ١٣٦٠هـ، ج٢/ ص٩٠، ٩١.

(٢) مجلة الأزهر، ج٢/ ص٩٢.

(٣) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٠٧.

تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم، ولا سيما الحضارة الإسلامية"[١].

وتتمثل خطورة التغريب في قضايا الإيمان بالغيب من خلال: "محاولة "تغيير المفاهيم" في العالم العربي والإسلامي، والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعا"[٢].

وبناءً عليه تستهدف حركة التغريب في مجتمعنا الإسلامي كلّ من (التعليم والصحافة)، فيعملون جادين جاهدين من خلال ذلك لصهر تراثنا الإسلامي، قيمًا ومُثلًا وعقيدة وشريعة في بوتقة الفكر الغربي، ثم طمس الهوية الإسلامية، وهو تحّدٍ كبير يواجه المجتمع الإسلامي، مما يهدد عقيدة الإيمان بالغيب، ورسوخها في نفس المسلم.

٣ـ **فرض الهيمنة الثقافية للعولمة:** وتعني "جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه، أو في تطبيقه"[٣]، وهي في ظاهرها دعوة للانفتاح العالمي، وانتشار الفكر والثقافة بين شعوب العالم، لتعميم النموذج الغربي وإذابة الهوية الإسلامية، عبر تفريغ المجتمعات المسلمة من محتواها العقدي، خاصة في الغيبيات، وتحويلها لكيانات تابعة مقلدة مستهلكة، وهو ما

(١) د.أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، طبعة: المكتب الإسلامي، دمشق. بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٣.

(٢) أنور الجندي، التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام، طبعة: مكتبة الإيمان، ص٥٤.

(٣) د. مصطفي حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ـــ الأردن ـــ عمان الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص٣٦٥.

يرفضه الإسلام رفضا قاطعا ويدعو للوعي به والحذر منه تحت شعارات مضللة كالانفتاح الثقافي والحداثة.

ونريد التأكيد على أن الإسلام لا يتعارض مع كون الإنسان يطلع على ثقافات شعوب أخرى، ولا يحجم حقوق الإنسان في المعرفة، ولم يكن يوما ما دينًا استبداديا إطلاقا، بل أعطى الحرية الواسعة للفرد للتفكر والعلم والتعلم والمعرفة، وكذلك الحضارة الإسلامية تقبل بالحوار والجدل المنطقي، ففيها من المرونة ما يجعلها قابلة للانفتاح على ثقافات العالم، خاصة إذا كان التحاور يقوم على حرية التواصل والاحترام بين الثقافات العالمية، وفي كثير من نصوص القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، وأما فرض الهيمنة الثقافية للعولمة التي تضر بالمجتمع المسلم وتستهدف العقيدة؛ لتصب في مصلحة الغرب، فهذا ما يرفضه الإسلام، وينبغي التنبه له والحذر منه.

٥- **اتباع منهج (التلبيس)**: وهو من أخطر الأساليب الفكرية التي يستخدمها الغرب والمذاهب المادية الهدامة، والمراد به تلبيس الباطل ثوب الحق وتزيينه ليبدو مقبولا للمتلقي، وتلك هي الخطة الماكرة التي يسير عليها واضعو المذاهب المادية الملحدة الهدامة؛ لجعل الباطل يبدو كأنه أفكار صحيحة عند عرضه وطرحه، "فإن أي مضلل بفكرة ما، أو مذهب فاسد، أو طريقة باطلة، لا يستطيع التأثير في مجموعة من الناس، ولا أن يكون لآرائه مسار في الأفكار، مالم يدس ما يريد التضليل به ضمن مجموعة من الأفكار الصحيحة، والأفكار المقبولة إجمالًا، أو التي لها حظ من النظر، ولو كانت غير صحيحة،

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

ليغطي الباطل البين بها، ويغشي بما يزخرف من أقوال على أنظار الناس؛ حتى لا ينكشف زيفه، ويتضح باطله، فالجماهير من الناس ترفض بمنطقها التلقائي ما تراه باطلًا أو تعتقد بطلانه"[١].

ومنهج التلبيس ليس جديدًا، فهو منهج اليهود في الخداع والتضليل؛ ولذلك خاطبهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وهذا المنهج وفقًا لمرجعياتهم، ورد في البروتوكول الثالث عشر: "سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية، لقد نجحنا نجاحًا كاملًا، بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية، ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة (التقدم) يختفي ضلال وزيغ عن الحق"[٣]، وهي اعترافات واضحة بتعمد خلط الأوراق وتقديمها بأفكار ظاهرها التقدم وباطنها الانحراف والضلال.

٦- **حملات تشويه الإسلام والطعن في صلاحية تعاليمه للعصر الحاضر**: وهي حملات ممنهجة تسعى لزعزعة ثقة المسلمين في دينهم، بزعمهم الباطل عبر تصوير الإسلام وكأنه عقبة في وجه التقدم العلمي، حيث يدعون أن أحكامه لا تصلح للعصر الحديث، ويواكب هذه الحملات ترويج لمذاهب مادية تنكر كل ما هو غيبي، وتدعو للتحرر من قيود الدين، ويكمن الخطر في أن هذه الحملات لا تستهدف النصوص فقط، بل تهدف إلى جعل المسلم لا يعتز بدينه، وتجعله في حالة من الفراغ العقدي، مما يكون فريسة سهلة لمثل هذه

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الكيد الأحمر، ص٣٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٢.

(٣) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص١٦٨.

الحملات، وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور/ علي عبدالحليم محمود، فقال: "هذا التشويه يستهدف أهدافًا خبيثة، لا تخفى على من يتأمل خطط الأعداء ويوليها شيئًا من الاهتمام، فمن بين ما تستهدفه هذه الحملات التشويهية أن تهتزّ ثقة المسلمين في دينهم؛ لما يدخله الأعداء من تشويه على أصله الأصيل كتاب الله ﷻ القرآن الكريم، وعلى سنة الرسول (ﷺ)، الذي تكلفت بشرح هذا الأصل وتفسيره، فإذا ما اهتزت ثقة المسلمين في دينهم أصبح الواحد منهم يعاني من فراغ رهيب في نفسه وعقله وعاطفته، وعندئذ تتلقاه دعايات هؤلاء الأعداء، فيصبح فريسة لها، وما هو إلا أن يرتمي في شباكها، فيضيع اعتزازه بدينه، ويصبح تابعًا خاضعًا لعدوه"(١).

وبهذا يظهر هدف تلك الحملات لهدم وتشويه الإسلام من الداخل والتشكيك في جذوره العقدية "ولا تنضب جهودهم في تشويه التراث والتاريخ الإسلامي، فيعملون على إثارة الشبهات ويحاولون تصوير التراث عاجزًا وعاطلًا، وتفريغ التاريخ الإسلامي من مظاهر قوته وصموده وفدائيته، ويحجبون جوانب هامة كالنظريات التي مازال الغرب يستعلي بها، وهي مأخوذة من العلوم الإسلامية"(٢).

٧. **ذوبان المعوق اللغوي**: بترجمة كتب أباطرة الإلحاد في الغرب، وبثها على الشبكة العنكبوتية، وتلك واحدة من أبرز سلبيات العولمة كما ذكرنا في النقاط السابقة، ولقد "كان للمعوق اللغوي دور كبير في منع كثير من الخطابات الإلحادية الجديدة من التسرب لمشهدنا المحلي، إذ اللغة المستعملة بالتبشير بالمادة الإلحادية لغة أجنبية بطبيعة الحال، وهو ما يشكل حاجزًا ومانعًا من الاطلاع عليها، والتعرف على تفاصيلها، ولكن هذا المعوق كاد

(١) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢٥.

(٢) د. أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، ص٤٣.

يتآكل تمامًا في ظل حملة محمومة لترجمة كثير من المواد الإلحادية للغة العربية"[١]، مما أتاح للأفكار المادية والإلحادية فرصة أكبر للوصول لعقول كثير من المسلمين والتأثر بها.

٨ـ **تجنيد العملاء والترويج المنهج للإلحاد:** سعت المنظمات الصهيونية إلى تجنيد واستقطاب بعض أبناء الأمة ممن فقدوا انتمائهم الديني والوطني، ليكونوا أدوات لنشر الفكر الغربي الإلحادي، وهم المذكورون في البروتوكولات باسم (الوكلاء والعملاء والمأجورين)، وقد تم توظيفهم للترويج للإلحاد والتسويغ والتبرير له، ونقد الدين والغيبيات، والتطاول على الثوابت، بدعوى حرية التعبير وتنوع وجهات النظر، والدليل على ذلك ما جاء في البروتوكول العاشر: "كان من الضروري لنا أن نحصل على خدمة الوكلاء المغامرين الشجعان الذين سيكون في استطاعتهم أن يتغلبوا على كل العقبات في طريق تقدمنا"[٢]، وهو ما يظهر مدى تنظيم هذا المشروع ومكره.

٨ـ **الحط من كرامة رجال الدين وهدم الرموز الإسلامية**: بهدف دفع المسلمين بعيدا عن أي مرجعية دينية، وتشكيكهم في كل ما هو غيبي، وهذا السبب أحد أبرز أساليب الطعن في الغيبيات، عن طريق النيل من العلماء والدعاة والرموز الفكرية، وذلك بوصفهم بالجمود والتخلف والرجعية، في محاولة لفصل المسلمين عن مرجعيتهم الدينية، وهو ما ظهر جليا في شبهات الملحدين المعاصرين، أمثال ريتشارد دوكينز، حيث يقول: " عندما نفحص بعمق إيمان العلماء الكبار في أيامنا والذين يبدون كمتدينين في بعض الأحيان نرى بأنهم ليسوا كذلك، وهذا بالتأكيد صحيح"[٣]، أيضا جاء في بروتوكولاتهم: "وقد عنينا عناية عظيمة

(١) عبدالله صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد(مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، ص١٠٥.

(٢) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٤٥.

(٣) ريتشارد دوكينز، وهم الإله، ص١٦.

بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة في طريقنا، وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يومًا فيومًا"[١]، مما يكشف عن استراتيجية ممنهجة لضرب المرجعية الإسلامية.

كانت تلك أبرز البواعث والعوامل لانتقال دعاوى إنكار الغيب إلى مجتمعاتنا الإسلامية، وبعد الوقوف على تلك العوامل، وملاحظتنا عناصر الخطة الغاشمة للمضللين في الأرض، المتربصين بالإسلام وأهله وديارة من واضعي المذاهب الباطلة، المستهدفين لفرض رؤيتهم الإلحادية المنكرة للغيب، صار لزاما علينا أن نستبين المنهج الذي يجب اتباعه تجاه هذا الزحف المادي الإلحادي المنكر للغيبيات على مجتمعاتنا المسلمة، وبيان سبل الحد من انتشاره، وإيضاح طرق العلاج التي تمكننا من تحصين المجتمعات الإسلامية ضد موجاته المتلاحقة.

ثانيًا : سبل وآليات العلاج للحد من دعاوى إنكار الغيبيات

إنَّ معالجة الإشكاليات المعاصرة المرتبطة بقضايا الإيمان بالغيب في عصرنا باتت ضرورة ملحة، تقتضي تدخلا منهجيا يتصف بالحكمة، ويخاطب العقل بالحجة، ويشبع النفس باليقين والسكينة، إذ نعيش في عصر شهد طفرة هائلة في الوسائل التكنولوجية، وأضحى العالم كله في ظل العولمة قرية صغيرة، وأصبح انتقال الأفكار يشكل خطورة فائقة داخل المجتمعات، لاسيما في الجوانب الدينية والفكرية.

إن الحرب الحقيقية في هذا العصر هي حرب معلوماتية فكرية ثقافية بالدرجة الأولى، تستهدف العقول قبل الأجساد، فمن خلال الأفكار والمعلومات يمكن تدمير أقوى النظم السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية، وتفكيك أشد القيم تماسكًا، والوصول بالإنسان من

(١) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي البروتوكول السابع عشر، ص١٨٧.

خلال هذا الفكر إلى النتائج التي يريدها الخصم.

ومن ثم فإنَّ التصدي لهذا الغزو لا يكون إلا بمواجهة الفكر بالفكر، ومقارعة الحجة بالحجة، وذلك من خلال تبني سبل علاج مدروسة تكشف زيغ وزيف وتهافت تلك المذاهب المنكرة للغيبيات، وتفند أباطيلها، وتحد من انتشارها في أوساط المجتمعات لا سيما بين الشباب الذين يعدون الفئة الأكثر ضعفا واستهدافا.

وهنا تتوزع مسؤولية المواجهة الفكرية لتحديات الإيمان بالغيب على جهتين رئيسيتين، أولاهما: علماء الأزهر الشريف الذين ورثوا ميراث النبوة في بيان الحق، ودحض الباطل، وبلاغ الدين، وثانيتهما: الدولة التي يقع على عاتقها حماية الفكر والهوية من الغزو الثقافي والفكري للأمة من كل محاولات الاختراق أو التشويه، وقد عبر الشيخ المراغي عن ذلك بقوله: "مصر موضع آمال الأمم الإسلامية في الثقافة، والعلم، والمدنية، وفيما يجيش بصدور تلك الأمم من آمال جسام للإسلام وأهله، من مجد وعزة، إلى صولة وقوة ودفاع عن الحق، إلى مقاومة للطغيان، حتى يعود التاريخ الإسلامي سيرته الأولى في أروع مظاهره"[(١)]، إذن لكل منهما دور جليل، نفصله فيما يأتي:

أ- دور علماء الأزهر الشريف في تعزيز الإيمان بالغيب:

لقد أخذ الله تعالى على العلماء العهد والميثاق ببيان وتوضيح أمر الدين للناس، والدفاع عنه، وحراسته، وصيانة عقول النشء من عبث المبطلين، "وقد كان الأزهر الشريف ولا يزال- يحمل أعباء هذه الرسالة التي شرف الله بها مصر منذ عشرة قرون خلت[(٢)]، وكان

(١) محمد مصطفى المراغي، مقال بعنوان: من رسالة شيخ الأزهر إلى المسلمين يدعوهم إلى الاتعاظ والعبرة، مجلة: الهدى النبوي، المجلد الرابع، العدد ٣٩، أول صفر ١٣٥٩ه.

(٢) تم إنشاء الجامع الأزهر على يد جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في ٢٤ جمادى =

لعلمائه من الأثر في حماية هذه القيم والفضـائل ما لا يخفى على أحد، ونالت به مصـر من الشـرف والفخار ما لا تطمح إليه دولة في هذا العالم، ومن ثم فقد صـار الحفاظ على الأزهر الشـريف من فرائض الإيمان بالله والوطن"[١]، ويتلخص دور علماء الأزهر الشـريف في عدة محاور، أبرزها:

١ـ **ضرورة العمل على تجديد الخطاب الديني العقدي**: وذلك بتجديد طرائق الاستدلال على المسائل الإيمانية، وصياغتها بلغة عصرية، وأسلوب يراعي تحولات الفكر والثقافة، دون مساس بجوهر العقيدة وثوابتها، فالمطلوب خطاب يستوعب العقل الحديث، ويخاطب منطقه، ويرّد الشبهات بمنهج علمي رصين يجمع بين الأصالة، والمعاصرة.

٢ـ **ضرورة أن يتصف الخطاب العقدي بـ(الموثوقية العلمية) في دعوته**: فلا يقتصر على جانب الدفاع والرد على المعارض، بل لابد أن ينتقل إلى مقام الهجوم العلمي المشروع، بكشف الثغرات، والتناقضات الهائلة الموجودة في بنية التصور الإلحادي لدي الملحدين وأصحاب التيار العقلاني المتطرف ومن على شاكلتهم، وبيان ما تنطوي عليه من فراغ وجودي، وكونها تفتقد للأسس الروحية والمعنوية التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها.

٣ـ **درء التعارض بين العلوم التجريبية والإيمان بالغيب**: من المهم ترسيخ القناعة بأن الإسلام لم

الأولى ٣٥٩ ٤ / هـ أبريل ٩٧٠م أي بعد عام من تأسيس مدينة القاهرة، واستغرق بناؤه ما يقرب من ٢٧ شهرًا، حيث افتُتِح للصلاة في يوم الجمعة ٧ رمضان ٣٦١ هـ الموافق ٢١ يونية ٩٧٢م، وما لبث أن تحول إلى جامعة علمية، وأُطلق عليه اسم الجامع الأزهر؛ نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي ـ ﷺ ـ وزوجة الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ التي ينتسب إليها الفاطميون على أرجح الأقوال. ينظر: تاريخ الجامع الأزهر على الصفحة الرسمية لبوابة الأزهر الكترونية. على الرابط: https://www.azhar.eg/alazhar/

(١) د.محمد البهي، حياتي في رحاب الأزهر(طالب وأستاذ ووزير)، طبعة: مكتبة وهبة، ص٨٨.

يكن يوما ما في صدام مع العلم، بل دعا إليه، وحثّ على البحث، والنظر، والتأمل، والتفكر، قال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]، ومن ثم فالعقل المؤمن لا يرى تعارضا بين الشرع والعلم، بل يراهما طريقين متكاملين للمعرفة.

٤ـ **إدراج مناهج مخصصة لدراسة خطورة إنكار الغيبيات:** ضمن منظومة المناهج الأزهرية، مع تأكيد العلاقة بين الحقائق العلمية الثابتة، وإثبات وجود الخالق، والإشارة إلى أنّ النواميس الدقيقة التي تحكم الكون من أكبر الشواهد على الغيب المطلق.

٥. **تطوير المناهج الجامعية**: وذلك من خلال تدريس القضايا العقدية المرتبطة بالغيب، بشكل يربط المفاهيم العقدية بالسياق الفكري المعاصر، بحيث تتضمن تحليل ونقد هذه الدعاوى عن طريق فلسفة العلوم، ونقد الفكر الإلحادي المعاصر.

٥ـ **إعداد الأبحاث والكتب والموسوعات التي تنقض الفكر المادي المنكر للغيبيات:** بحيث تفكك الأسس الفكرية لمنكري الغيب، وتبين ثغراتهم المنهجية ومغالطتهم المنطقية، وتقدم بأسلوب علمي معاصر يناسب الطالب الجامعي والمتخصص وغير المتخصص.

٦ـ **تحرير الأجوبة العلمية المحكمة**: بصورة مؤلفات أو كتب علمية متخصصة في الرد على شبهات منكري الغيب وإشكالِيَّتِهم فيما يخص الإيمان بالغيب، وتقديم معالجات عقلية، ونفسية، وعقدية، لتلك المسائل.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.

٧- **تأهيل طلاب الأزهر الشريف تأهيلًا علميًا دينيًا رصينًا**؛ بما يحقِّق لهم الوصول إلى مرحلة (الحصانة الفكرية العقدية)، ويوقفهم على المسائل المثارة من قبل الملاحدة، وتدريبهم على كيفية الرد عليها وبيان زيفها وبطلانها وتوضيح المغالطات المنطقية في الفكر الإلحادي.

٨- **تحصين النشء بالابتعاد عن المشككين في الثوابت الإسلامية وعدم الركون إليهم**: عن طريق توعيتهم حول خطورة الانخداع بالمذاهب الفكرية المنحرفة، وتقديم محتوى علمي متين كبديل صحيح للمذاهب المادية الإلحادية التي تغزو منصات التواصل الاجتماعي مما يعزز الإيمان بالغيب، ويرسخه في نفوس الأجيال، ويصبح عقيدة لا تزحزحها الشبهات.

٩- **إبطال مزاعم المذاهب الهدامة وفضح تناقضاتها**: من خلال الحضور الفعّال، والمشاركة الواسعة لعلماء الدين في اللقاءات التليفزيونية، والإذاعية، ودور النشر، والصحافة، ومنصات التواصل الاجتماعي الحديثة، ودعم الأعمال الفنية الهادفة، وكل ما من شأنه إيصال صوت الحق إلى آذان شباب الأمة المسلمة.

١٠- **ترسيخ المنهج الوسطي الإسلامي**: التمسك بمنهج الوسطية الإسلامية دون إفراط، أو تفريط، ولا غلو ينفِّر من الدين، أو تقصير يذيب التدين، من أعظم سبل الثبات العقدي في زمن الفتن، فتلك الوسطية من خصائص أمتنا الإسلامية التي وصفها الحق ﷻ، بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

إن تلك الوسطية المعتدلة وموافقتها للفطر السليمة، والعقول المستنيرة، لمن أعظم الأمور التي تزيح غشاوة البصائر، وتثبت القلوب المؤمنة على إيمانها، فيبقى الإيمان بالغيب قائمًا على بصيرة ويقين.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

ب- الدور المجتمعي والدولي في مواجهة دعاوى إنكار الغيب:

إنَّ من أخطر الوسائل التي تعمل على تفكيك المنظومة الأمنية لأيِّ مجتمع، هي وسيلة الاختراق الفكري العقدي الثقافي، ولهذا فإن صيانة الهوية الإيمانية للشعوب المسلمة يتطلب حضورًا قويًّا لمؤسسات الدولة في حراسة الفكر، والدين، وهو دور مهم جدًّا، فإن "الله يزعُ بالسلطان، مالا يزعُ بالقرآن"(١)، ويتحقق هذا الدور من خلال مجموعة من الإجراءات، منها:

١- الرقابة على المحتوى الفكري المنحرف: من الضروري أن تقوم الجهات المعنية بتشكيل لجان رقابية متخصصة، تعمل على مراجعة ومراقبة كلّ الآراء، والأفكار التي تورد على المجتمعات الإسلامية عبر وسائل الإعلام، والتواصل الاجتماعي بأنواعها، وتكشف ما فيها من شبهات وأفكار مسمومة، مع العمل على تحليلها علميا، وبيان ما فيها من نقاط سلبية خفية، والرد عليها.

٢- وضع خطة لتفعيل دور وسائل الإعلام الإسلامي في التصدي للفكر المنحرف: يكون ذلك من خلال

- إنتاج برامج علمية وثقافية تشرح الإيمان بالغيب بأسلوب علمي موثَّق ومعاصر.
- تقديم محتوى إسلامي قوي ينشر القيم الإسلامية بما يتناسب مع المراحل العمرية المختلفة، ويرسِّخ القيم الدينية والفكرية.
- إعداد خطة منهجية لتطوير التربية الدينية في مناهج التعليم، تعالج قضايا الإيمان والإلحاد، وهو ما أكدَّ عليه الدكتور البهي بقوله: "يجب أن تعمل الدولة على وضع منهج للتربية الدينية للفرد المسلم في أيِّ مجتمع في جميع مراحل التعليم"(٢).

---

(١) الإمام الماوردي، أدب الدنيا والدين، طبعة: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص١٣٥.

(٢) د. محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، ص٣٩.

٣ـ كشف تناقضات الفكر المتطرف: وذلك ببثِّ قنوات إعلامية، ومنصات رقمية متخصّصة للردّ عليهم، وتقديم الدفاع عن العقيدة بأسلوب علمي حديث، وعصري يخاطب الشباب، ويفهم واقعهم.

٤ـ دعم الكوادر الجامعية لحماية الهوية الإسلامية: بتوفير برامج تدريبية بتقنية مهنية عالية، للمتخصِّصين في الفكر العقدي والفلسفي لشرح القضايا العقائدية بطريقة ميسرة للشباب، للحد من التحديات المعاصرة.

ج- تعزيز منهج الاستدلال بعالم الشهادة على عالم الغيب:

يمكن الاستدلال على عالم الغيب بعالم الشهادة، ومواجهة التحدِّيات المعاصرة بهذا الاستدلال المشاهد، إذ إنَّ ما هو مشهود ومحسوسٌ يُعَدُّ مدخلا إلى إدراك ما هو غير مشهود، حيث" بين القرآن الكريم الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان لتحصيل المعرفة بشأن عالم الغيب، فقد بين على وجه الخصوص طريق الوصول إلى الله تعالى، بالعقل، والحواسّ، يقول تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[١]، وفي ذلك دعوة إلى استخدام النظر العقلي في الموجودات المحسوسة؛ لاستنباط ما وراءها من حقائقَ غير مرئية، وقد عبرّ ابن رشد عن هذا بقوله: " ليس أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه"[٢]، وهذه هي طريقة القرآن الكريم في تقرير العقيدة الإلهية، ومواجهة الأفكار الشيطانية، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الحشر: الآية ٢.

(٢) د. محمود عتمان، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، طبعة: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٥٦١.

﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾[1]، مما يدلُّ على أنَّ التأمل في عالم الشهادة وسيلة ممهدة للتذكير بعالم الغيب، والإيمان به.

وهنا يتبادر إلى الأذهان تساؤل مفاده: إذا كان أرباب المنهج الإلحادي والعقلاني لا يؤمنون إلا بما هو محسوس ومرئيٌّ وواقع تحت نطاق التجربة، والتي هي مصدر المعرفة، فلماذا إذن يؤمنون بالأثير، والجاذبية، والكهرباء، ويقرون بوجودها دون مشاهدتها؟ إنما عَرفوها من خلال آثارها وتطبيقاتها، ويرفضون الغيب الإيماني، مع أنهم يقبلون بغيب علمي لم يشاهد؟! أليس هذا تناقضا! وهو ما ينفي دعواهم التي تنفي الغيب بحجة غيابه عن الحسّ.

وقد أشار بعض العلماء إلى هذا التناقض بقوله: "لقد انتقل العلم من الحسم إلى الاحتمال في قضايا كثيرة، مثل: مادية العالم، ورفض الغيب، أو ما وراء المادة، مثل قولهم: (لقد أثبت العلم إثباتًا قاطعًا بأنه لا وجود لعالم غير مادي، لعالم الغيب، للعالم الآخر، ومن غير الممكن أن يكون له وجودٌ طالما ليس هناك أيُّ شيء غير المادة) لقد سقط هذا، فقد كشف العلم أن هناك عالمًا خفيًا تذهب إليه الأشياء وتأتي منه، بعد أن تحطمت نظرية المادة والطاقة، وأصبحت المادة تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة "[2].

ويقول جوستاف لوبون في أثناء محاضرته التي ألقاها سنة ١٩٠٧م عن اكتشافه الذي أشار إليه جورج بوهن: إن "علم الأمس كان مؤسسًا على أبدية المادة، ولكن علم الغد سيتأسّس على قبولها للفناء"[3]، وهو ما تحقق فعلا مع تطورات العلم الحديث.

---

(١) سورة الغاشية: الآيات من ١٧ : ٢٢ .

(٢) د. أنور الجندي، الفكر الغربي، دراسة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ١٩٨٧ / هم، ص١٤٩.

(٣) د. محمود عتمان، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، ص٥٠٠.

ومن هنا فإن المذهب المادي الذي قامت عليه التيارات الإلحادية، والعقلانية المفرطة المعاصرة قد تصدّع بعد اكتشاف العلم أمورًا غير مادية، تحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة، ومن ثم فإن كل الفلسفات التي قامت على أساسه قد تهاوت وظهر زيفها وبطلانها.

ويؤيد ذلك الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون منذ أكثرَ من ثلاثة قرون، حيث قال: "إن قليلا من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، أما التعمُّق في الفلسفة فيرده إلى الإيمان، وهنالك أمر واحد لا شك فيه، فبقدر ما بلغ الإنسان من معرفة، وما لديه من ذكاء وقدرة على التفكير لم يشعر في وقت من الأوقات بأنه كامل في ذاته، والناس على اختلاف أديانهم، وأجناسهم وأوطانهم قد عرفوا منذ القدم، وبصورة تكاد تكون عامة، مبلغ قصور الإنسان على إدراك كنه هذا الكون المتسع، كما عجزوا عن إدراك سر الحياة، وطبيعتها في هذا الوجود"[(١)].

وهو ما يؤكد عليه جورج ايرل دافيز[(٢)]، حيث يقول: "تتعدد الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى إعادة النظر في أمور الدين، ولكننا نؤمن أنها ترجع جميعها إلى رغبة البشر الصادقة في الوصول إلى الحقيقة، وينبغي أن نفرِّق في هذا المقام بين معارضة الدين، أو الخروج عليه، وبين الإلحاد، وأن نعترف بأن مَنْ يخرج على بعض الأفكار التقليدية التي

(١) بول كلارنس ابرسولد، الأدلة الطبيعية على وجود الله ضمن أبحاث الله يتجلّى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، إشراف: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة وتعليق: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان، ص٤١.

(٢) جورج ايرل دافيز (١٩٠٧،١٨٥٠): عالم الطبيعة، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا، ورئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية ببروكلين، أخصائي في الإشعاع الشمسي والبصريات الهندسية والطبيعية.

ينطوي عليها دين من الأديان، لكي يؤمن بوجود إله قوي كبير، لا يجوز أن نعده بسبب ذلك وحده مُلْحِدًا، فمثل هذا الشـخص قد يكون غير معتنق لدين من الأديان، ولكنه يؤمن بالله، وقد يكون إيمانه هذا بالله تعالى قائما على أسـاس متين، وليس معنى ذلك أننا ننكر وجود الإلحاد والملحدين بين المشتغلين بدراسة العلوم، إلَّا أنَّ الاعتقاد الشائع بأنَّ الإلحاد منتشر بين رجال العلوم أكثر من انتشاره بين غيرهم، لا يقوم على صحته دليل، بل إنّه يتعارض مع ما نلاحظه فعلًا من شيوع الإيمان بين جمهرة المشتغلين بالعلوم"[1].

وعليه فإنّ هذا المنهجَ يضـع حدًّا لتقييد المعرفة بما هو محسـوسّ فقط، إذ إنَّ إعطاء مواقع للظواهر غير المرئية مثل الجاذبية والكهرباء يفضـح تناقضـات التيارات المادية التي تنكر وجود الغيب، ومن ثم فإن إدراج هذا النوع من الاسـتدلال في خطابنا العقدي، وتفعيله في وسائل الإعلام، والمقررات الدراسية، والمحاضرات العلمية يمثل وسيلة هامة؛ لترسيخ الإيمان بالغيب، ورد الشبهات المادية المعاصرة.

ومما سبق، يتبين مدى خطورة التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب، وخطورة آثارها على الفكر المسلم، وتوازنه، وهويته العقدية، كما كشف البحث عن تغلغل هذه التحديات في البنية الفكرية، والاجتماعية، والثقافية للأمة، مما يستوجب تضافر الجهود، وتكامل الأدوار لمواجهة هذه الهجمات المقصودة، والتي لم تعد تقتصر على أروقة الفكر والفلسفة، بل امتدت لتغزو الشاشات، والمنصات، وتتوغل في عقول الأجيال بأساليب عصرية خادعة، والله أسأل أن يوفِّق أمتنا الإسلامية إلى ما فيه عزُّها وثباتُها، وأن يردّ عنها كيد الكائدين، وأن يعين علماءها على أداء رسالتهم في بيان الحق، والدعوة إليه، وصيانة العقيدة من كل ما يشوبها ويشككها، إنّه وليُّ ذلك، والقادرُ عليه.

---

(١) جورج ايرل دافيز، الكشوف العلمية تثبت وجود الله ضمن أبحاث الله يتجلى في عصر العلم، ص٤٥.

الخاتمـــة

بعد بحث التحديات المعاصـرة للإيمان بالغيب، وسـبل مواجهتها في ضـوء العقيدة الإسلامية، ظهر خطورة تلك التحديات على واقع المجتمعات الإسلامية، وقبل أن أشرع في عرض النتائج والتوصيات، أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تكتمل الغايات، إذ وفق ويسـر، وأسـتغفره من كل تقصـير، وأسـأله سـبحانه الإخلاص والقبول، والصـلاة والسـلام على سـيدنا محمد ﷺ، الذي علم البشـرية الإيمان، وغرس في النفوس حقيقة الغيب، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أولاً: أهم النتائج:

١- إن الإيمان بالغيب من أركان العقيدة الإسـلامية، وشـرط لصـحة الإيمان، وهو سـرٌّ من أسـرار الله تعالى، لا يملك مفاتحه إلا هو، وهو كذلك أحد أوجه التميز الإنساني الذي به استحقّ الخلافة، والإيمان بالغيب شرط لصحة الإيمان، ومن ينكره يكون كالأنعام، بل أضلّ، وهو ما أكّدته النصوص الشرعية، وأقرّته العقول السليمة.

٢- للإيمان بالغيب أثرٌ كبيرٌ في تحقيق الاسـتقامة، والتوازن الروحي، والفكري، في عصـرٍ تزداد فيه التحديات، والنزعات المادية والانفصـال عن القيم الدينية، فلا قيمة للإيمان بالغيب ما لم يثمر عملًا، حيث أصـبح الإيمان بالغيب لدى كثير من المسـلمين تصـورًا ذهنيا منفصلا عن واقعهم، لا أثر له في السلوك، في حين أنَّ العقيدة في التصور الإسلامي ليست مجرد إيمان باطني، بل هي منهج حياة.

٣- يوجد فرق بين الغيبيات والسمعيات، فالسمعيات محصورة في ما لا يدرك إلا عن طريق الوحي، فمصدرها الوحيد هو النقل الشريف، أما الغيبيات فهي أوسع نطاقًا، وتشمل كلَّ ما غاب عن إدراك الإنسـان، وتندرج تحتها مسـائل السـمعيات، وبالتالي فالسـمعيات

أخصُّ والغيبيات أعمُّ.

٤- إن التحديات المعاصرة الموجهة للإيمان بالغيب ليست وليدة العصر الحديث، بل لها جذور تاريخية قديمة ترسَّخت عبر قرون، سعت خلالها إلى حصر المعرفة في نطاق الحس والتجربة، لكن التطورات الفلسفية والعلمية زادت من حدة هذه التحديات.

٥- إن الطرح الفكري الذي يقدِّمه التيار الإلحادي والعقلاني المتطرف وغيره من إنكار للخالق جلَّ علاه، والوحي، وسائر الغيبيات، وعدم تقديم بديلٍ حقيقيٍّ، إنما هو تصور عدمي يترك العقل في حيرة؛ ليقع فريسة للتطرف الفكري، وهو ما يترتب عليه انعدام الأخلاق، وسيادة الفوضى والفساد.

٦- ظهر تناقض بين الماديين والعقلانيين في موقفهم من الغيب، فنجدهم يدعون الاستناد إلى العلم والحواس، إلا أنهم في الواقع يسيئون استخدام العلم في مجال خارج عن نطاقه، فالعالم الحقيقي لا يضع معارفه المحدودة التي يعلم يقينا مدى محدوديتها على أنها مطلقة، وإنما يقصر معارفه على مجاله فقط، وهو ما رأيناه لدى ريتشارد دوكينز عالم الفيزياء، وسام هارس عالم الأعصاب، وكلا التخصصين يهتمان بالمادة؛ لنفي ما هو خارج نطاقها وهو الغيب، ولا شكّ أن هذا خطأ علمي، ومنهجي واضح.

٧- العقل الصحيح لا يناقض النقل الصريح، بل إن التقدم العلمي لم يلغ مفهوم الغيب، ولا يتناقض مع الإيمان بالغيب، بل هو امتدادٌ لمجالاته خارج نطاق المشاهدة الحسية المباشرة، ويكشف عن الحاجة للوحي؛ لفهم ما وراء المادة.

٨- خير منهج نتصدى به لتلك التحديات هو المنهج القرآني الرشيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الكتاب الوحيد المحفوظ بحفظ الله تعالى له، فقد أرشد القرآن الكريم إلى الاستدلال على عالم الغيب بعالم الشهادة، من خلال التأمل، والتفكر

في المخلوقات، والسنن الكونية، مما يؤكد توافق الإسلام مع المنهج العقلي.

٩- إنَّ قصور الأدوات الحسية لا يعني انتفاء ما تعجز عن إدراكه، ومن ثم فإنَّ نفي الغيب بدعوى العقلانية هو في ذاته موقف غير عقلاني، بل يعد قصورا يضيق آفاق الفهم، ويجعل الإنسان حبيسا في العالم المشاهد.

١٠-ظهر أن التوافق بين العقيدة الإسلامية، والمنهج العلمي الصحيح توافق متكامل، بحيث لا يمكن أن يتعارض العلم مع الدين، بل يعززه ويزيده رسوخا، فكل فكر يعارض العقيدة الإلهية بعيد كلّ البعد عن المنهج العلمي الصحيح، ومنافٍ للفطرة، وما هو سوى مرض شيطاني خبيث تمكّن من نفس منحرفة، فصار معتقدا، فالعقيدة فطرة في الإنسان لا يمكن إنكارها، أو تجاوزها، كذلك العلم يدعو للإيمان بالغيب، والإيمان يزداد بالعلم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]، وبالتالي فكل حقيقة من حقائق العلم الثابتة لا يمكن أن تناقض حقيقة من حقائق الدين.

١١-ظهر تهافت المنهج المادي وتناقضه في بحث ماهيات الغيب، والتمسك بمنهج الملاحظة والتجرِبة، الذي لم يقدم أصحابه دليلا علميا واحدا على عدم وجود تلك الغيبيات، فباءت جميع أدلتهم محصورة في محاولات إيهام ضعاف العقول، وقليلي المعرفة.

١٢-وحدة المنهج، أظهر استخدام منكري الغيب في عصرنا منهجا واحدا في إنكارهم والتشكيك في العقيدة الإلهية، والسخرية، والتهكم من المؤمنين بها بدعاوى كثيرة منها:

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.

أنها فيروسٌ للعقل ما ترتب عليه وحدة الهدف لديهم وهو محو العقيدة الإلهية، وسيادة الكفر والإلحاد.

١٣-إنَّ الأسس والمعتقدات التي قامت عليها التحديات المعاصرة للإيمان بالغيب لا يقرُّ بها عقل، ولا فطرة سليمة، حيث قامت على أفكار فلسفية مادية تنسجم مع المخططات الصهيونية القائمة على الإلحاد، وسيادة الإباحية، وإنكار كل ما هو غيبي، وتجنيد العملاء والخونة لبثِّ تلك السموم في المجتمعات الإسلامية خاصة.

١٤-العلماء الحقيقيون أكثر ميلا للإيمان بالغيب على عكس ما يروجّ له البعض، فإنَّ كثيرا من العلماء الكبار في الفيزياء والفلسفة يعترفون بأن الكون يحمل دلالات على وجود الخالق ﷻ مما يثبت أنَّ العلم لا يتعارض مع الدين بل يعزِّزه.

١٥-إنَّ التحديات الفكرية المعاصرة للإيمان بالغيب لا يمكن مواجهتها بالعاطفة فقط، بل لابد من مواجهة الفكر بالفكر، والحجة بالحجة، من خلال تأسيس خطاب علمي يوضِّح الأدلة العقلية، والنقلية للإيمان بالغيب بصورة قوية تتناسب مع لغة العصر.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

ذكرت في المطلب الثاني من المبحث الثاني سبل وآليات العلاج من حد، وإنكار دعاوى الإيمان بالغيب، مجموعة من الآليات، والأسس العلمية التي يمكن إدراجُها ضمن استراتيجية عملية تطبق على أرض الواقع، كما يمكن إضافتها كتوصِيَات ومقترحات لهذا البحث، بالإضافة للتوصِيَات الآتية:

١- أوصي بضرورة عناية الباحثين بتحديد المفاهيم، وتحرير المصطلحات، فقد يقع الباحث في لبس يغيِّر معنى المصطلح فيخرج بنتائجَ غير منضبطة، وهو ما راعيته في بحثي.

٢- التركيز على جهود الأزهر الشريف، ورصد مجهوداته في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، والإسهام في تعزيز الحوار الحضاري، والثقافي، وإظهار دوره الحقيقي في الحفاظ على الهوية الإسلامية.

٣- ضرورة إبراز قيمة الإيمان بالغيب الذي من شأنه تعزيز القيم الدينية والنفسية واستقرار المجتمع، مع تسليط الضوء على دوره في مواجهات التحديات المعاصرة.

٤- تنبيه النشء والشباب على أهمية المصادر الموثوقة للمعلومات الدينية عبر إدراك خطورة الاعتماد الكلي على منصات التواصل الاجتماعي كمصدر وحيد لتلقِّي المعلومات الدينية، وضرورة الرجوع إلى المتخصّصين؛ لئلا يؤدي بهم ذلك إلى مفاهيمَ مشوهة تزعزع الإيمان في نفوسهم.

٥- العمل على فضح أساليب التيارات الإلحادية في التشكيك بمسلمات الدين، وكشف محاولاتهم التي تتوارى خلف شعارات التجديد وحرية التفكير، وضرورة الرد المنهجي على الشبهات المادية، والتصدي لها بكشف زيفها، والرِد على شبهات الملحدين المثارة حول حقائق الدين، والبدء في ذلك بردِّ طعنهم في الأصول قبل الانشغال معهم في الرد على الفروع، وفروع الفروع التي يثيرونها بقصد الشغب، وتفريغ طاقة العلماء في الهامشيات، وصرف العامة عن مهام الأمور إلى الانشغال بسفسافها.

٦- تعزيز دور المؤسسات الدينية وخاصة الأزهرَ الشريفَ في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة من خلال تأهيل متخصصين يجمعون بين العقيدة والفكر المعاصر، ودعم الأبحاث العلمية التي تناقش قضايا الإيمان بالغيب في ضوء العلوم الحديثة، والفلسفة المعاصرة، بالإضافة لتنظيم ورش عمل، وحملات توعوية؛ لشرح سبل مواجهة هذه التحديات المعاصرة بما يتفق مع العقيدة الإسلامية.

٧- إعداد محتوى إلكتروني واعلامي متنوع عبر إنشاء فيديوهات، ومقالات، ومكتبة أزهرية شاملة تعرض المفاهيم العقدية بأسلوب سهل قوي وجذاب، مع التركيز على تعزيز الوعي الديني في مختلف وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت في متناول الجميع، خاصة في ظل هيمنتها على وعي الأجيال.

٨- تشجيع الباحثين في مجال العقيدة والفلسفة من طلاب الأزهر الشريف بتقديم مزيد من البحث في التحديات المعاصرة التي تواجه العقيدة الإسلامية، وسبل مواجهتها مثل: بحث التأويل العقلاني للنصوص الدينية، وربطها بمستجدات العلم الحديث، وقضايا العقيدة خاصة في مسألة وجود الله تعالى والغيب، وكذلك دراسات تستهدف تنمية التفكير النقدي لدى الشباب حتى لا يكونوا عرضة للانسياق وراء الشبهات الفكرية دون وعي.

المصادروالمراجع

أولاً: القرآن الكريم وعلومه

١- أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢- أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٣- أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد، طبعة: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

٤- أحمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبعة: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٥- أحمد المراغي، تفسير المراغي، طبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥ه/ ١٩٤٦م.

٦- عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

٧- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٨- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، طبعة: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٩- محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، طبعة: دار الحديث بالقاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٤هـ.

١٠-محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧م.

١١-ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨ هـ.

ثانيًا: مصادر اللغة العربية

١٢-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

١٣-أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٤-أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٥-أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، تقديم ومراجعة: فتحي حجازي، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

١٦-أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، طبعة: عالم الكتب. مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.

١٧-الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، طبعة: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م.

١٨-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، باب الدال، فصل العين، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

١٩-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، طبعة: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٠-محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢١-محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، طبعة: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤ هـ.

٢٢-مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: دار الهداية، بدون تاريخ نشر.

٢٣-نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني، د يوسف محمد عبد الله، طبعة: دار الفكر المعاصر (بيروت ، لبنان)، الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.

ثالثًا: المصادر العامة.

٢٤-ابن خلدون، المقدمة، الفصل العاشر في علم الكلام، طبعة: دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

٢٥-أبو الحسن الأشعري، اللمع في الردِّ على أهل الزيغ والبدع، تقديم وتعليق: حمودة غرابة، طبعة: الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٦-أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصري (ت ٤٠٣هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

٢٧-أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة: دار المعرفة، بيروت.

٢٨-أبو حامد محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة: الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م.

٢٩-أبو حامد محمد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق وتعليق الدكتور: عبد الحليم محمود، طبعة: دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ نشر.

٣٠-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ ه، ١٩٦٤م.

٣١-أحمد رمو، مقدمة كتاب بول ديفيز، الدقائق الثلاث الأخيرة، ترجمة: أحمد رمم، طبعة: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٢-أحمد عبدالحميد الشاعر، القرآن في مواجهة الماديين الملحدين، طبعة دار القلم، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٣-أحمد محمود صبحي، في فلسفة الحضارة (اليونانية الإسلامية العربية)، وصفاء عبد السلام جعفر، طبعة: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٩٩٩م.

٣٤-إسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، طبعة: دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٣٥-إمام الحرمين الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، طبعة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٣٦-إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق: الدكتور علي سامي النشار وآخرين، طبعة: منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩م.

٣٧-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، طبعة: منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

٣٨-أنور الجندي، التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام، طبعة: مكتبة الإيمان، ص٥٤.

٣٩-أنور الجندي، الفكر الغربي، دراسة نقدية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٤٠-أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، طبعة: المكتب الإسلامي، دمشق. بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤١-برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني، مجموع المتون المحصي لكثير من الفنون (متن الجوهرة، طبعة: الطوخي بالقاهرة ١٢٨٥ه، ومجموع مهمات المتون المشتملة على ستة وستين متنًا في مختلف الفنون والعلوم، طبعة: الحلبي الرابعة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.

٤٢-بسام البغداي، مقدمة كتاب وهم الإله لريتشارد دوكينز، شبكة الملحدين العرب، طبعة إلكترونية، الطبعة الثانية.

٤٣-بسام علي سلامة العموش، الإيمان بالغيب، طبعة: دار المأمون، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٤-بول ديفيز، التدبير الإلهي (الأساس العلمي لعالم منطقي)، ترجمة: محمد الجورا، مراجعة علمية: الدكتور جهاد ملحم، طبعة: دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م

٤٥-بول ديفيز، الجائزة الكونية الكبرى (لغز ملاءمة الكون للحياة)، ترجمة: محمد فتحي خضر، مراجعة: حسام بيومي محمود، طبعة: كلمات للترجمة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠١٣م.

٤٦-بول سي فيتز، نفسية الإلحاد، ترجمة: مركز دلائل، طبعة: دار وقف دلائل للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ٢٠١٣م٠

٤٧-بول كلارنس ابرسولد، الأدلة الطبيعية على وجود الله ضمن أبحاث الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، إشراف: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة وتعليق: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان.

٤٨-جفري لانغ، الصراع من أجل الإيمان (انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام)، ترجمة: منذر العبيسي، مطبعة: دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٩-جون ديوي، المنطق نظرية البحث، ترجمة، وتعليق: زكي نجيب محمود، تقديم: عبدالرشيد الصادق محمودي، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ٢٠١١م.

٥٠-جون ويليام كلون، ضمن أبحاث كتاب الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٥١-حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية، طبعة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٥٢-خالد كبير علال، وقفات مع أدعياء العقلانية (حول الدين والعقل والتراث والعلم)، طبعة: دار المحتسب ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥٣-خير الدين بن محمود الزركلي، (الأعلام)، طبعة: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٥٤-روبين كيرود، الكون (مشاهدات علمية)، ترجمة: شافعي سلامة، إشراف: داليا محمد إبراهيم، مطبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، بتاريخ ١٤٢٨هـ/ ١ يوليو٢٠٠٧م.

٥٥-ريتشارد دوكينز، العلم والحقيقة، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، طبعة: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٥٦-ريتشارد دوكينز، كون من لا شيء، ترجمة: غادة الحلواني، طبعة: منشورات الرمل مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

٥٧-سام هارس، نهاية الإيمان، ترجمة: محمد سام العراقي، كتاب إلكتروني، طبعة: ٢٠٠٥م.

٥٨-سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد (المقصد السادس)، طبعة: مكتبة الإيمان.

٥٩-سعد الدين التفتازاني، مقدمة لكتاب شرح الخبيصي على متن تهذيب المنطق، تقديم: عبدالله محي عزب، طبعة: مكتبة الإيمان، بدون تاريخ نشر.

٦٠-سعد الدين صالح، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، طبعة: دار الصفا للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٦١-السيد الشريف الجرجاني، (التعريفات)، تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

٦٢-سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ نشر..

٦٣-عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، طبعة: دار المعارف المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٦٤-عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، طبعة: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

٦٥-عبد الله صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، طبعة: دار تكوين، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٦٦-عبدالرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، طبعة: سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٦٧-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، طبعة: دار القلم، دمشق. سوريا، سلسلة: طريق الإسلام رقم(١)، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٨-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، طبعة: دار القلم، دمشق. بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٩-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الكيد الأحمر، طبعة: دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٧٠-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، طبعة: دار القلم، دمشق سوريا، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧١-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، طبعة: دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٧٢-عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، طبعة: دار القلم، دمشق الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧٣-عبد الرحمن سيد سليمان، مناهج البحث، طبعة: عالم الكتب، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٧٤-عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، طبعة: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٣م.

٧٥-عبد الستار عز الدين الراوي، ثورة العقل دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد، طبعة: دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

٧٦-عبد السلام البسيوني، العقلانية هداية أم غواية، طبعة: دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧٧-عضد الدين الإيجي بشرح السيد شريف الجرجاني، المواقف، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٨-علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، طبعة: إدارة الثقافة والنشر، جامعة محمد ابن سعود، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

٧٩-عمرو شريف، ثم صار المخ عقلا، طبعة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى مصر ٢٠١٢م.

٨٠-فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، تحقيق: عبد الله إسماعيل، وإبراهيم سويلم، طبعة: مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة: إحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٨١-فخر الدين الرازي، المطالب العالية في العلم الإلهي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، طبعة: دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨٢-فيليب م. دوبر، وريتشارد أ. مولر، الانفجارات الثلاث العظمى، ترجمة: فتح الله، وأحمد السماحي، طبعة ونشر: المشروع القومي للترجمة (المجلس الأعلى للثقافة)، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٨٣-قطب الدين محمد بن محمد الرازي، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين علي الكاتبي القزويني وعليه حاشية السيد شريف الجرجاني، تصحيح: محسن بيدارفر، طبعة: شريريعت، قم، الطبعة الثانية.

٨٤-ليستر إدغار ماكغراث، وجوانا كوليكات ماكغراث، وهم دوكينز (الأصولية الملحدة وإنكار الإله)، ترجمة: محمد عودة، طبعة: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

٨٥-الماوردي، أدب الدنيا والدين، طبعة: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٨٦-محمد أحمد السيد المسير، عالم الغيب في العقيدة الإسلامية، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

٨٧-محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٨٨-محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، طبعة: مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى رجب ١٤٠١ هـ/ مايو ١٩٩٨م.

٨٩-محمد البهي، حياتي في رحاب الأزهر (طالب وأستاذ ووزير)، طبعة: مكتبة وهبة.

٩٠-محمد الغزالي السقا، عقيدة المسلم، طبعة: نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة يونية ٢٠٠٥م.

٩١-محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٩٢-محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، قدم له: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩٣-محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، طبعة: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ.

٩٤-محمد ربيع الجوهري، ضوابط الفكر، طبعة: مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة السادسة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٩٥-محمد عبدالله ماضي، مقال بعنوان: القيمة العلمية لأبحاث المستشرقين، مجلة الأزهر، المجلد الثاني عشر، عدد صفر ١٣٦٠ه.

٩٦-محمد كتش، العالم التربوي على صفيح ساخن (دراسة للمنظومة التربوية لإشكالية الأصالة والمعاصرة)، مركز الكتاب، ١٤٢٢ه.

٩٧-محمد مصطفى المراغي، مقال بعنوان: من رسالة شيخ الأزهر إلى المسلمين يدعوهم إلى الاتعاظ والعبرة، مجلة: الهدى النبوي، المجلد الرابع، العدد ٣٩، أول صفر ١٣٥٩ه.

٩٨-محمود عتمان، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، طبعة: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٩٩-محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، طبعة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

١٠٠-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، طبعة: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٠١-مصطفي حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ـــ الأردن ـــ عمان الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٠٢-مقداد يالجن، دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، طبعة: عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤ه.

١٠٣-المودودي أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م.

١٠٤-ناصر عبد الكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، طبعة: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٠٥-نجم الدين عمر النسفي، شرح سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية، طبعة: دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي

١٠٦-نصر الدين مصباح القاضي، منهج الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، طبعة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠٧-وحيد الدين خان، العلم في مواجهة المادية، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، طبعة: دار النفائس، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

١٠٨-يحيى هاشم فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، طبعة: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٠٩-يحيى هاشم فرغل، الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، طبعة: دار الفكر العربي.

رابعًا: المواقع الإلكترونية.

110- prabook.com/web/philip.dauber

١١١-أضرار أكل لحم الخنزير على الموقع الطبي الإلكتروني:

https://www.webteb.com/multimedia/slideshows/1

تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٢٥م

١١٢-أضرار شرب الخمر والكحول على جسم الإنسان على الموقع الطبي الإلكتروني:

https://www.webteb.com/articles/3

تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠٢٥م.

١١٣-تولام سيرف، دليل الملحد، نسخة إلكترونية، موجودة على الرابط:

. https://ahewar.org/rate/bindex.asp?yid=3640

١١٤-سام هارس على مدونته الشخصية على الرابط:

https://web.archive.org/web/20120301060943

http://www.samharris.org/site/full_text/the/mora‹landscape‹q‹a‹with‹sam‹harris/

١١٥- الصفحة الرسمية لبوابة الأزهر الإلكترونية. على الرابط: https://www.az

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ٣٩٠٥
المقدمـــة ٣٩٠٩
المبحث الأول تحديد المفاهيم والمصطلحات ٣٩١٨
المطلب الأول: مفهوم التحديات المعاصرة. ٣٩١٨
المطلب الثاني: مفهوم الإيمان بالغيب في اللغة والاصطلاح ٣٩٢٢
المطلب الثالث: مفهوم العقيدة الإسلامية ٣٩٣٦
المبحث الثاني التحديات المعاصرة المتعلقة بالإيمان بالغيب ٣٩٤١
المطلب الأول: تحديات التيارات الإلحادية المعاصرة، وتطبيقاتها ٣٩٤٢
المطلب الثاني: تحديات النزعة العقلانية المفرطة وتطبيقاتها. ٣٩٧٠
المبحث الثالث سبل مواجهة التحديات المعاصرة في قضايا الإيمان بالغيب..... ٣٩٨٥
المطلب الأول: دور الأدلة العقلية في دعم الإيمان بالغيب. ٣٩٨٥
المطلب الثاني: عوامل انتقال دعاوى إنكار الإيمان بالغيب إلى المجتمعات
الإسلامية وسبل مواجهتها. ٣٩٩٧
الخاتمـــــة ٤٠١٩
المصادر والمراجع ٤٠٢٥
فهرس موضوعات البحث ٤٠٣٨